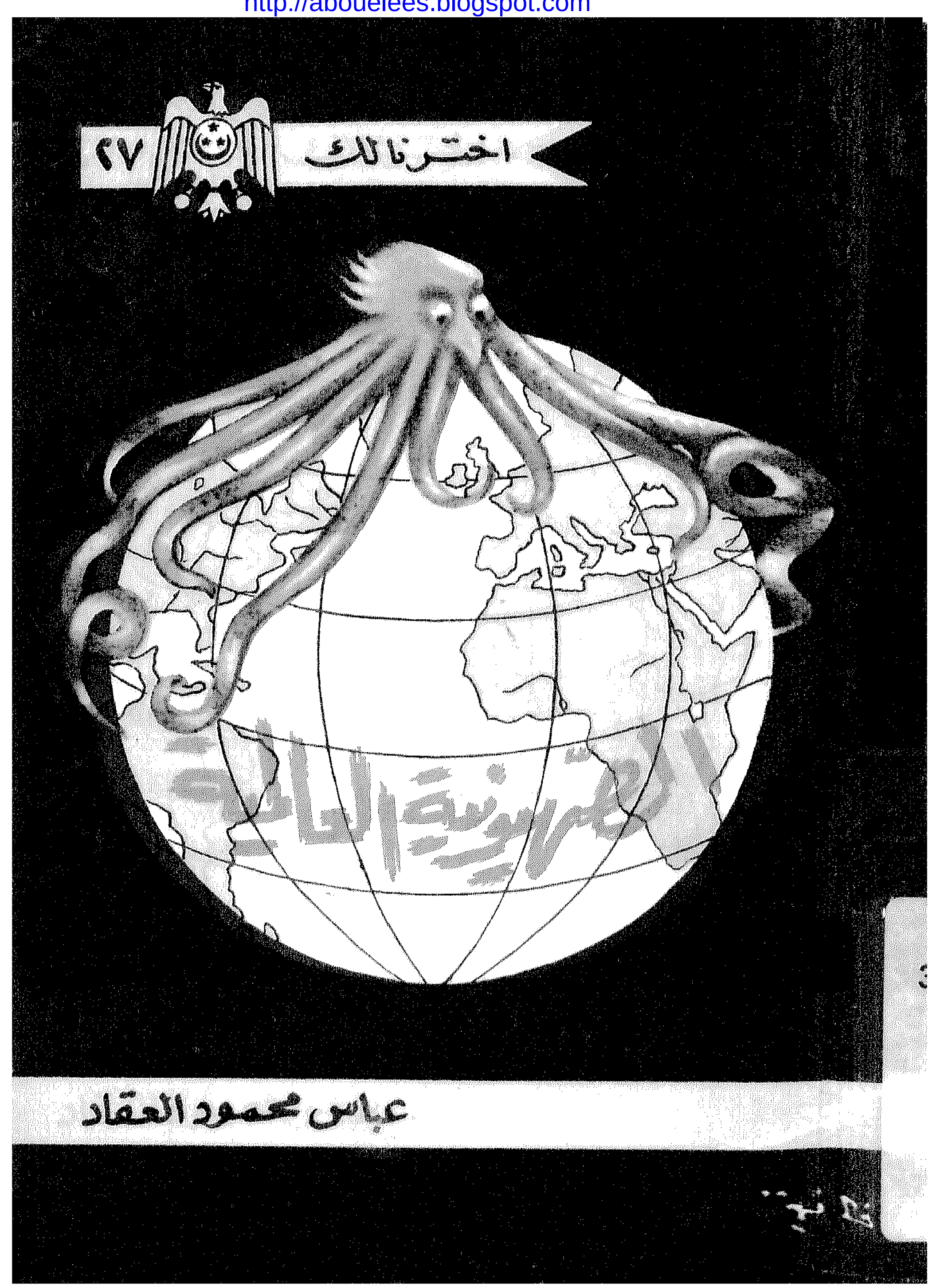

اخترنا لك
٢٧
الصهيونية العالمية
عباس محمود العقاد

اهداءات ٢٠٠١

الأستاذ الدكتور / عبد الفتاح منصور

اخترنا لك ...
٢٧

الصهيونية العالمية

بقلم
عباس محمود العقاد

ملتزم الطبع والنشر
دار المعارف بمصر





الرئيس جمال عبد الناصر



بداءة

العقاد والصهيونية

بقلم محمد خليفة التونسى

معظم فصول هذه الرسالة أحاديث أذاعها أديبنا الكبير الأستاذ عباس العقاد بعنوان « الصهيونية العالمية » فكان لها صدى قوى بين مستمعيها ، أوجب تقييدها ، ليتمكن من سمعوها — ومن لم يسمعوها أيضاً — من الرجوع إلى مباحثها القيمة ، حتى يزداد النفع بها بدءاً وعوْدا .

وليس من همنا هنا تلخيصها ، إذ لا حاجة به ولا جدوى منه ، وهى — كسائر ما يكتب الأستاذ — مستعصية على التلخيص لإيجازها وإجمالها ، ولكننا نومئ إلى موضوعها وبعض مضامينها والفكرة الجامعة بينها ومنزع كاتبها فيها ، فالفصول كلها بينة سوية متكاملة يشد بعضها بعضاً .

هذه الدراسة العلمية الموجزة لنشاط « الصهيونية العالمية » فى كثير من اتجاهاتها ومجالاتها — تشتمل على معلومات وثيقة المصادر مدعمة بالأسانيد ، ونتائج وطيدة تقوم على أسس منها عميقة الجذور ، حتى إن الأذهان المبرأة من الأهواء المريضة — لتتأدى من مقدماتها إلى نتائجها فى ثقة ويسر ، للصلات الوثقى التى تربط بين شتى هذه الأطراف .

هى ليست تاريخاً للصهيونية وإن كانت تبدأ بإلمامة شاملة لنشوء فكرة الصهيونية وأطوارها السياسية المختلفة حتى الآن ، مع البراهين الحاسمة على أنها

لم تكن فى شتى عصورها إلا حركة سياسية البواعث والغايات ، لا سند لها فى المراجع التوراتية ، وإن زيفت لها أصول دينية رغبة فى رواجها وتعزيزها فى نفوس اليهود وغيرهم ، فانطلت خدعها على الجمهرة بين الفريقين . وهذه إلمامة كافية كى تمهد لموضوعها ، وحسبنا من جديدها أنها تهتك الحجب عن أصول الصهيونية الزائف وتنسفه من أساسه .

وتمضى الفصول فى الكشف عن ماهية الصهيونية وخفاياها ، وتزييف أكاذيبها ودعاواها ، ومن أشيعها أكذوبة النبوغ اليهودى ودعوى اضطهاد اليهود بسببه ، فتفضح الرسالة هذه الأكذوبة فى التاريخ القديم والحديث بالحجة البينة وتشير إلى معظم أسباب الاضطهاد ، وكلها تنبع من العزلة التى يفرضونها على أنفسهم وموقفهم العدائى من كل أمة يواطنونها أو يجاورونها لاطبعوا عليه من سوء وزعارة وحماقة ، فهم وحدهم المسئولون عن كل مايحيق بهم من بلاء ، وهنا تبين الرسالة الأسس النفسية والاجتماعية للصهيونية وعلاقتها بأخلاق اليهود ونزعاتهم المأثورة ، وقيام الصهيونية أخيراً متحالفة مع قوتين : هما قوة المصالح الاستعمارية وقوة التعصب ضد الإسلام ، ولولاهما لانهارت و قنعت كدأبها بالذلة والخمول .

ثم تكشف الرسالة عن مكايد الصهيونية التى تنفذها على أيدى طوابيرها الخامسة بين الأمم فى الميادين الاقتصادية والثقافية والسياسية ، وتبين أساليبها قديماً وحديثاً ، واستباحتها أبغض الوسائل لتحقيق أغراضها ، فهى حركة جنونية هدامة تسعى جهدها لحرب الأديان والأوطان والأسر ، لتنفرد بسلطان المال على مصاير المجتمع ، وهى لا تخلق حركة اجتماعية ولا قدرة لها على

خلقها ، ولكن لا تكاد حركة تنبع فى ناحية حتى تسارع هى إلى استغلالها وتوجيهها إلى ما يخدم مصالحها ، ولا سيا الحركات الهدامة وآخرها الشيوعية اليوم ، وهنا الخطر الحق للصهيونية ، ومن أمضى أساليبها الغش والغدر واستطلاع الأسرار المحلية والعالمية وتسخير المال والنساء وتوطيد الصلات بأصحاب النفوذ فى كل أمة ، استغلال كل ذلك لمصلحتها ، ولا منفذ لها بغير هذه الوسائل السرية وما يشبهها خفاء وخبثا ، إذ لا يناسب طبيعتها غير تلك الوسائل ، ولا نجاح لها إلا بها ، لأنها حركة هدم لا تعمير .

وثلث الرسالة الأخير يوضح مستقبل الصهيونية ووليدتها إسرائيل ، ويبين منابع قوتها ومكامن ضعفها ، وما ينتظرها من سوء المصير ، ويعين أسباب فشلها لضعف دواعى بقائها أمام عوامل فنائها ، ومرجعها جميعاً إلى تبدل الأحوال العالمية والمحلية ، وكلها تنذر الصهيونية بالتفكك ، وتهدد إسرائيل بالزوال ، فالدسائس الصهيونية متعسرة أو متعذرة مع وضوح العلاقات الدولية اليوم وتشابكها ، وتوزع السيطرة السياسية والاقتصادية بين قوى عالمية مختلفة المصالح والنزعات والمطامع ، وإسرائيل دويلة مريضة متناقضة البنيةوالأسسوالمشكلات ، وهناك مقاطعة العرب واقفة لها بالمرصاد، فلا راحة لها مما قاطعوها ، ولا بقاء لها إذا طالت القطيعة وستطول. هذا إلى قيامها بين دول ناهضة تفوقها عدداً وثروة ، وكلها تمقتها وتتربص بها الدوائر ، جزاء ما أسلفت من عدوان عليها ، ولأن قيامها يهدد أرزاقها بل حياتها بالبوار .

هذه إلماعات إلى بعض مضامين « الرسالة » وهى قليل مما كتب

الأستاذ العقاد فى موضوعها ، فنحن لا نجد بين شيوخ أدبائنا وشبيبتهم من هو ألهج منه بالكشف عن خفايا الصهيونية وتزييف مزاعمها والإنحاء عليها فيما يكتب ويذيع ويتحدث . وموقفه منها غير مستغرب على من عرف حياته أو آثاره وهى صورة حياته ، ومن يقرأ كتبه ولا سيما عبقرياته وحملاته ضد الحكم المطلق والمبادئ الهدامة — يعرف أنه يدين بالقيم العليا ، ويقيس عظمة الرجال والأعمال بالمقاييس الأخلاقية ، والصهيونية دعوة جنونية بهيمية ضارية ، وحركة هدامة خبيثة الوسائل والأهداف ، فلا جرم تخف فى ميزانه وتستحق عنده الجفاء ، إنها عدو البشر تنزع منذ قامت حتى اليوم إلى حرب المجتمع بأخس الوسائل ، وتعمل وسعها على إفساد أخلاقه وتمزيق أواصره وهدم قيمه ومقوماته لكى تتسلط عليه فتسخره فى مصالحها وتستأثر بخير العالم دونه ، والعقاد لا تنقصه الغيرة ولا الإيمان بالمبادئ الإنسانية وهو مطبوع عليهما ، فلا يستغرب منه الغضب على الصهيونية التى تهدرها ، ولا تنقصه الشجاعة فيما يراه حقاً وهو مطبوع على الشهادة ، وإن كان يعلم عين اليقين أخطار عداوة الصهيونية ولا يسلم من جرائرها ، ولا يثقل ضميره ولا عقله هوى مريض يقعده عن التصدى لها وإن خطبت رضاه ، فما قلمه الجبار بأضعف من الأقلام الهزيلة التى تحرص الصهيونية على رضاها بكل ثمن فى كل أمة ، ولا تنقصه المعرفة الواسعة العميقة لما ظهر وبطن من وسائلها وغاياتها الحقيقية والمزعومة ، بل قل بين أكثر الساسة والمفكرين من عنده علم قديمها وحديثها مثله ، وهذه هى بواعث العقاد حين يجفوها ، فهو يعافها عن نزعة إنسانية رفيعة لا عن

ترة شخصية ولا طائفية ، ولا عن تعصب ديني ولا وطني .

وليس من الضروري أن ينحو الإنسان نحو أستاذنا العقاد في شعوره وتفكيره ومنزعه ليعاف الصهيونية ويجفوها مثله ، فكل من يحب الخير للناس — مهما يكن دينه أو وطنه — يجد نفسه مضطراً إلى الاشمئزاز منها وجفوتها مثله ولو لم تنله بسوء ، ومكافحتها كما يكافح كل وباء ولو لم يتهدده بضرر ، فما كانت الصهيونية في جميع العصور إلا وباء يهدد سلامة المجتمع وأمنه وأواصره بالفساد ، أولئك قطاع الطرق حيث كانوا منذ كانوا ، ولن يصمهم أعدى أعدائهم بشر مما وصمتهم به كتبهم المقدسة وهي القدوة والسند ، أو مما يصمون به أنفسهم طائعين بل مفاخرين .

أخي القارئ ، ليست هذه مقدمة ، فما أنا بأهل لتقديم العقاد ، ولا حاجة بأحد لذلك ، ولكنها توطئة مما يناجي به الأخ أخاه في البدء ولهذا أود أن تحظى مناك هذه « الرسالة » بما تحظى به « الرسائل الأخوية » ولولا ذلك لأمسكت ، أو لكانت التوطئة هي الختام .

محمد خليفة التونسي

١ ــ الصهيونية قبل الميلاد

يغلب على ظن الكثيرين أن الصهيونية حركة دينية قديمة ، وأنها مرتبطة بما ورد من الوعود للخليل إبراهيم عليه السلام .

والواقع أنها ليست بالحركة الدينية ، وليست بالحركة القديمة فى بنى إسرائيل أنفسهم ، ولكنها حركة سياسية تابعة لقيام الدولة وسقوطها فى بيت داود .

فغاية ما بلغه إبراهيم عليه السلام تحت قمة صهيون أنه اشترى قبراً هناك بالمال كما جاء فى الإصحاح الثالث والعشرين من سفر التكوين فى العهد القديم.

ومضت القرون بعد إبراهيم إلى عهد موسى عليه السلام . ثم مضت القرون بعد موسى والحال على ما كانت عليه ، وبقيت مدينة بيت المقدس فى أيدى اليبوسيين ، وجاء فى سفر القضاة من العهد القديم أن بنى بنيامين كانوا يسكنون مع اليبوسيين ، ولا يدعون معهم حقاً فى المدينة ، ثم أغار بنو يهودا عليها فدمروها وأحرقوها ، ولم يخطر لهم أن يتخذوا فيها مقاماً ذا قداسة عندهم أو غير ذى قداسة . وعاد إليها اليبوسيون فجددوها وأقاموا فيها إلى أن تولاها داود ، وخلفه سليمان فبنى فيها الهيكل المشهور . ولم يتفق اليهود أنفسهم على قداستها بعد قيام الهيكل فيها . فإن الملك « يهواش » ملك إسرائيل أغار عليها ، واستباح هيكلها ، وغنم ما فيه من التحف والآنية ، ثم قفل إلى السامرة ؛ وجاء فى العهد القديم خبر وفاته على الصيغة

المرضية فقيل عنه إنه اضطجع مع آبائه ، أى قضى على الأقل غير مغضوب عليه .

وإذا رجعنا إلى كلمة « صهيون » نفسها لم نجد لها أصلا متفقاً عليه فى اللغة العبرية . وأكثر الشراح يرجحون أنها عربية الأصل لها نظير فى اللغة الحبشية ، وأنها من مادة الصون والتحصين . وكانت فعلا من حصون الروابى العالية . والمقصود بالعربية هنا لغة الأصلاء من أبناء الجزيرة الذين سكنوا أرض فلسطين قبل هجرة العبرانيين بمئات السنين . وهم الذين أطلقوا على الأرض اسم أرض كنعان بمعنى الأرض الواطئة ، ولا تزال مادة كنع وقنع وخنع بهذا المعنى فى لغتنا العربية الحاضرة .

والكلمة تكتب فى العبرية تارة بالسين وتارة بالزاى ، ولم يحرص عليها اليهود بعد دخولها فى حوزتهم . بل جاء فى سفر صمويل الثانى أن داود غير اسمها باسم بيت داود ولم يشأ أن ينقل تابوت الرب إليه بل مال به إلى بيت عوبية . كذلك كان شأن صهيون قبل سبى بابل . فلما حمل اليهود إلى الأسر أصبح الحنين إلى صهيون رمزاً للحنين إلى عودة المملكة الغابرة . وتحولت الوعود الإلهية فى كتبهم تحولا جديداً مع مصالح السياسة ، فانحصرت فى ذرية داود — عليه السلام — ليخرج منها غير ذى الذرية من اليهود .

وليس هذا بالتحول الأول عندهم فى هذه الوعود على حسب المصالح السياسية . فقد كان الوعد لإبراهيم فحولوه إلى إسحاق ليخرجوا منه أبناء

إسماعيل . ثم حولوه إلى يعقوب ليحصروه فى سلالة إسرائيل ، ثم حولوه إلى ذرية داود لينحصر فى مملكة الجنوب دون مملكة الشمال . وهكذا كان وعد صهيون (وعداً سياسياً) تابعاً لمآرب الدولة ومآرب الهيكل الذى يقام فى جوارها ، فلا شأن له بالعقيدة الدينية التى تشمل جميع سلالة إبراهيم .

وفى الأسر البابلى تعلم اليهود بقايا الديانة القديمة ، وما احتوته من البشائر عن عودة « مردخ » إلى الأرض ، وعودة رسول النور كل ألف سنة إليها لإصلاح فسادها . فتعلقت آمالهم بعودة المملكة على يد بطل من أبطال الغيب . ولم يكن هذا البطل مقصوراً عندهم على ذرية داود ، بل زعموا مرة أنه هو « كورش » الفارسى الذى سمى بالمسيح فى الإصحاح الخامس والأربعين من سفر أشعيا . ولبثوا دهراً يتخيلون المسيح الموعود ملكاً صاحب عرش وتاج ، يفتتح بيت المقدس بالسيف ، ويعيد فيها الدولة الدائلة . ثم يئسوا مع الزمن من تجدد المملكة بقوة السلاح فعلقوا الرجاء بالرسول المختار من عالم الروح ، وقيل فى وصفه كما جاء فى سفر زكريا « أنه عادل ومنصور ووديع يركب على حمار ابن أتان » .

ولما بعث المسيح — عليه السلام — أنكر كهان الهيكل بعثته وآمن به بعض اليهود وبعض أبناء الأمم المقيمين فى فلسطين ، واحتج القوم عليه بوعد إبراهيم ، فقال لهم : إن أبناء إبراهيم بالروح هم الموعودون بالخلاص ، فكل من آمن بدينه فهو من أبنائه ، ولا فرق بين اليهودى واليونانى ، لأن رباً واحداً للجميع . كما جاء فى الرسالة إلى رومية .

وقد حدث فى عصر السيد المسيح أن اليهود تفرقوا فى أنحاء الدولة

الرومانية ، واتخذوا لهم وطناً فى كل قطر من أقطارها الواسعة ، فكتب فيلون فيلسوف الإسكندرية اليهودى يقول فى تحديد موقفهم من الدولة « إن اليهود — لكثرة عددهم — لا تحتويهم بقعة واحدة ، ويتفرقون لطلب الرزق فى أغنى البلاد من أوروبا وآسيا ، على أنهم ينظرون إلى أورشليم مقر هيكل الله المقدس كأنها حاضرتهم الكبرى، ويحسبون وطناً لهم كل أرض عاشوا فيها وعاش فيها آباؤهم وأجدادهم من قبلهم » .

والكلمة التى عبر بها فيلون عن الحاضرة هى الكلمة اليونانية «مترو بوليس Metropolis » أى أم المدن من كلمة « مترى » بمعنى أم وبوليس بمعنى مدينة وتطلق على كل مركز مهم من مراكز المعابد أو الدواوين .

فالصهيونية فى الزمن القديم لم تكن عقيدة دينية ، بل كانت نزعة سياسية ، ثم ذهب الأمل فى نجاحها السياسى ، فانقطعت العلاقة بينها وبين معناها الجغرافى ، وأطلقت فى بعض التعبيرات على معنى آخر بعيد كل البعد من المعانى الجغرافية ، وذلك حيث يقول صاحب الرسالة إلى العبرانيين من الإنجيل « إنكم لم تأتوا إلى جبل ملموس مضطرم بالنار ... بل أتيتم إلى جبل صهيون ، وإلى مدينة الله الحى أورشليم السماوية . . . وكنيسة أبكار مكتوبين فى السموات وإلى الله ديان الجميع » .

وواضح من تعبير هذه الرسالة أن الصهيونية قد تحولت إلى فكرة لا تتعلق بمكان معين ، ولا تتطلب العودة إلى فلسطين ، ولذلك ناهضها المتدينون من اليهود عند ظهور الدعوة إليها ، واعتبروا هذه الدعوة تجديفاً وإنكاراً للمسيح المنتظر فى عالم الروح ، فتلاقت عقيدة المسيحيين

المؤمنين بالمسيح — عليه السلام — وعقيدة اليهود الذين ينتظرونه فى آخر الزمان ، فاتفقتا على شىء واحد ، وهو الفصل بين الصهيونية السياسية والفكرة الدينية .

والواقع أن الصهيونية الحديثة كأختها القديمة : كلتاهما وليدة السياسة والسياسيين ، أياً كان السبب الذى تستند إليه .

وجملة أسبابها — كما يذكرها المؤرخون لها — هى الاضطهاد وظهور الفكرة القومية ومطامع الاستعمار .

لهذا نشأت أول الأمر فى أوربا الشرقية وأوربا الوسطى ، حيث بلغ الضغط على اليهود أشده فى القرن التاسع عشر ، ثم نشأت مع المسألة الشرقية واستخدمها الساسة لتحقيق مطامعهم فى بلاد « الرجل المريض » . . أى الدولة العثمانية كما سماها رواد الاستعمار .

فلما اتجهت أوروبا كلها إلى طرق المواصلات بين الشرق والغرب خلال الدولة العثمانية — أراد نابليون أن يستخدم اليهود للسيطرة على التجارة فى هذه البقاع ، فنشر بالصحيفة الرسمية إعلاناً دعا فيه يهود إفريقية وآسيا إلى موافاة جيشه بمصر ، ليدخلوا معه إلى أورشليم ، وراجت فى باريس سنة ١٧٩٨ دعوة يهودية إلى اغتنام الفرصة ، للاستعانة بفرنسا على تنظيم أعمالهم التجارية بين الوجه البحرى فى مصر وعكا والبحر الميت وشواطئ البحر الأحمر .

ولم تكد هذه الدعوة تحبط بحبوط حملة نابليون حتى تصدى الإيرل أوف شافتسبرى الإنجليزى سنة ١٨٤٢ لتبنيها واحتضانها ، منعاً لتنفيذها

على يد دولة أخرى ، وعلى الخصوص الدولة الروسية ، فوضع مشروعاً سماه مشروع « الأرض بغير شعب للشعب بغير أرض » ويعنى بالأرض مكاناً خالياً يصلح للاستعمار الزراعى فى أنحاء فلسطين ، ثم انعقد مؤتمر برلين وهذه الفكرة شائعة فيه بين الأروقة يزجيها رجال المال من وراء الستار .

ولما فوتح السلطان عبد الحميد الثانى فى هذه المسألة أراد بدهائه المعروف أن يسخرها لغرضين من أغراضه : وهما الحصول على القروض بأيسر الشروط ، واستخدام اليهود فى رد حملات التشهير التى كانت تنهال عليه باسم المذابح الأرمنية . وسنرى فيما يلى من الكلام عن أطوار هذه المسألة أنها كانت — ولا تزال — ألعوبة من ألاعيب السياسة التى تتوارى خلف ستار من الدين ، ولكننا — قبل أن ننتقل إلى الصهيونية بعد العصر القديم — نود أن نميط الستار عن حقبة أخرى ترتبط بتاريخ الصهيونية ، ويتجاهلها الذين تذرعوا باسم الإنسانية لتعليل هذه الحركة الجهنمية .

فهم يقولون — ولا يملون تكرار القول — إن الاضطهاد هو علة الصهيونية الأولى ، وإن قيام الصهيونية يقضى على هذه العلة أو يمنع تجديدها .

والحقيقة التى نريد أن نقررها هى أن الاضطهاد نتيجة لداء مزمن فى اليهود سيبقى معهم فى دولتهم الجديدة كما كان معهم فى دولتهم القديمة .

فمن الذى اضطهد اليهود فى مملكة سليمان حتى انقسمت على أهلها ثم انقسم كل شطر من شطريها على أهله .

ومن الذى اضطهدهم يوم تمردوا على كل نبى من أنبيائهم ، وكل قائد من قادتهم ، وهم بعيدون من سلطان غيرهم ؟

إن القرآن الكريم قد وصفهم حقاً حيث قال عنهم « تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى . » ولم يصفهم القرآن الكريم إلا بما وصفتهم به كتبهم ورسلهم من أقدم عصورهم إلى ما بعد عصر المسيحية .

فى الإصحاح الحادى والثلاثين من سفر التثنية يقال لهم بلسان الرب : « إنى عارف تمردكم ورقابكم الصلبة » .

وفى الإصحاح التاسع من سفر نحميا إنهم « أعطوا كتفاً معاندة ، وصلبوا رقابهم ولم يسمعوا » .

وفى الإصحاح السابع عشر من سفر أرميا إنهم « قسوا أعناقهم لئلا يسمعوا ولئلا يعقلوا » .

وفى أعمال الرسل أنهم غلاظ الرقاب . وفى غير هذه الكتب إجماع على غلظ رقابهم ، وشكاستهم ، وامتناع الوفاق بينهم . وهذه هى الآفة التى لا تفارقهم فى دولتهم الجديدة ، وما فارقتهم قط فى دولتهم الغابرة ، حتى قضوا عليها قبل أن يقضى عليها أعداؤها . وقد جروا على أنفسهم الاضطهاد فى كل بقعة وفى كل عصر وبين كل قبيل ، فليس من المعقول أن تكون العلة فى غيرهم ، وليس للأمم من حيلة معهم إلا أن تخضعهم آخر الأمر أو تخضع لهم برمتها ، وإنه لهو المستحيل بعينه على كل فرض من الفروض . وإنما آفة القوم الكمينة فيهم أنهم كائن ممسوخ من الوجهة الاجتماعية ، لأنهم جماعة مقتضبة لم تصبح أمة ، ولم ترجع إلى نظام القبيلة

البدوية . واشتبكت مع العالم وهى فى مرحلة غير نامية وغير صالحة للنمو على حدة ، فكل علاج لها ميئوس من جدواه ، ما لم يغلبها العالم على طبيعتها ، ويدمجها اضطراراً فى طوية أممه ، وسوف يكون ذلك لا محالة ، لأن غيره لن يكون .

٢ ــ الصهيونية

من الميلاد إلى القرن التاسـع عشر

منذ القرن الأول للميلاد لم يطرأ على « الصهيونية » شيء جديد قبل القرن التاسع عشر ــ فكل ما عرفه اليهود عن الصهيونية فى عصر السيد المسيح بقى كما كان فى القرون الوسطى ، وفيما تلاها من قرون النهضة والإصلاح إلى أوائل القرن التاسع عشر ــ أى إلى القرن الذى يصح أن يسمى فى وقت واحد بعصر الثورة ، وعصر الاستعمار ، وعصر الصناعة الكبرى ، ولكل صفة من هذه الصفات علاقة باليهودية لا تخفى على النظرة العاجلة ، ولكنها تستحكم وتتغلغل فى جميع الجوانب بعد إنعام النظر إليها .

كان اليهود يعيشون فى أرجاء الدولة الرومانية بين أناس يخالفونهم فى العقيدة ، وكانوا يعزلون أنفسهم عن المجتمع باختيارهم ، وينشئون فى أنحاء الدولة مراكز متفرقة للمعاملات التجارية ، وشئون الصيرفة ، ومبادلة السلع والنقود ــ ولكنها متفقة فيما بينها على قصد وعلى غير قصد لانعزالها فى كل بقعة على حدة ، فإذا سافر اليهودى من الإسكندرية إلى روما علم قبل سفره أن هناك بيئة مماثلة لبيئته ، يذهب إليها ليستعين بها على عمله ، ويشترك معها وبإرشادها فى استغلال من حوله . وكان هذا الاستغلال بطبيعته سبباً لنقمة الفقراء والأغنياء فى وقت واحد ، فكان اليهود عرضة لغضب المعوزين كما كانوا عرضة لغضب المدينين وأصحاب المحصولات

الزراعية من الضياع الواسعة ، وبخاصة فى إبان الأزمات والحروب الخارجية والأهلية ، وقد كانت تتعاقب على كثرة من قُبيل انهيار الدولة الرومانية .

وكلما كثرت الحروب وضح لأبناء الأمم المختلفة أن هذا الشعب المسمى « اليهود » متفق عليهم ، متفاهم فيما بين أبنائه على ابتزازهم واستباحة أموالهم وأرزاقهم ، لأنه يعتزلهم كافة بمجتمعه فى كل بقعة ، ثم يرتبط بالمعاملة بينه وبين أبنائه فى المعسكرات المتقاتلة ، ولا ينظر اليهودى إلى زميله نظرة العداء والمقاطعة ، وإن قطعت الحروب والفتن بين البلدين .

ودانت أمم الغرب بالمسيحية شيئاً فشيئاً فلم تتغير هذه الحالة ، بل جد عليها سبب مفهوم ، للتقاطع بين اليهود والمسيحيين ، وهو عداء اليهود للسيد المسيح ، فعاش اليهود فى عزلتهم ، وتعرضوا من جراء هذه العزلة لتهم كثيرة وشبهات أكثر ، حتى شاع عنهم فى أيام الوباء أنهم هم الذين يسممون الماء والطعام .

وضاعف الاشتباه فيهم أنهم كانوا ينفردون بمطاعمهم فى المدن ، وقلما يؤاكلون أحداً فى الريف .

وحدث غير مرة أن اليهود كانوا ينصرون كل مغير على البلد الذى يقيمون فيه ، وحدث غير مرة أنهم كانوا يصاحبون الجيشين المتقاتلين لشراء الأسرى ، وبيع المئونة ، وبذل القروض ، ثم يتقابلون على تفاهم عند « تصفية الأعمال » والمساومة ، فوقر فى أخلاد الأمم أنهم شعب غريب .

وكان شعورهم نحو بيت المقدس خلال هذه القرون لا يتجاوز شعور

الحنين إلى مجد قديم ، وانتظار الوقت الموعود فى الزمن الذى يختاره الله ، ولا شأن لهم بتقديمه أو تأخيره مع المشيئة الإلهية ، وأصبحت الصلوات التى يعيدونها كل يوم أو كل أسبوع طلباً للرضوان الإلهى ، ألفاظاً تعاد على الأكثر بغير معنى ، كأنها الدعوات التى يرددها الجهلاء من أتباع كل نحلة ، وهم لا يفقهون معناها .

ويسجل التاريخ الأوروبى على اليهود أنهم كانت لهم مشاركة فى كل فتنة ، وكل إغارة . ولكن المؤرخين يختلفون فى تعليل هذه المشاركات المتواترة — فيعزوها بعضهم إلى المصادفة لوجود اليهود فى كل بيئة ، ويعزوها بعضهم إلى شعور النقمة الطبيعى على كل سلطان غاشم يخضع له المحكومون على رغم واضطرار ، ويعزوها بعضهم إلى التدبير المتعمد لهدم المجتمع المسيحى من داخله وتقويض دعائم الدولة والكنيسة فى وقت واحد ، ومما قيل وأصر القائلون عليه أنهم أسسوا جماعة البنائين الذين اشتهروا باسم الماسون ، وقرنوا بين التعاهد على بناء الهيكل وبين هذه التسمية ، ومايتصل بها من المصطلحات والشعائر ، وقيل غير ذلك كثير مما تتشعب فيه الظنون ولا حاجة إلى استقصائه ، لأن الظواهر تغنى فيه عن الأسرار .

وكان يتفق فى بعض السنين أن يتجه اليهود والمسيحيون معاً إلى بيت المقدس ، على أثر الإشاعات « الفلكية » التى يزعمها أناس من المنجمين موعداً لعودة المسيح — عليه السلام — فتكثر الهجرة إلى المشرق على اعتقاد المهاجرين جميعاً أن الدنيا تنتهى بهذه العودة الموعودة ، وليست فكرة الوطن القومى مما يدخل فى هذا الاعتقاد ، بل كان من المسيحيين من يرى أن

ارتداد اليهود عن كفرهم بالديانة المسيحية شرط لقيام الساعة ، فلا أمل لهم قبل ذلك فى اليوم الموعود .

أما فكرة « الوطن القومى » فلم تنشأ قبل عصر النهضات الوطنية ، ولم يسمع فيه صوت لليهود إلا لأن هذا العصر كان كذلك عصر الصناعة الكبرى وعصر الاستعمار .

فلا يخفى أن الاستعمار قد بدأ بالتجارة ، وأن طريق الهند كان أهم الطرق التجارية فى العالم القديم ، ومن ثم كثر الاهتمام بفلسطين ومصر ، وارتفع فى المجامع الدولية صوت اليهود لاتصالهم فى وقت واحد بالتجارة وبهذه البلاد ، واشتبكت مسألة القروض بمطامع المستعمرين فى أقطار الدولة العثمانية ، فلم ينظر الأوربيون إلى مطالب اليهود كأنها مطالب منفصلة تعنيهم وحدهم ويغارون عليها من أجلهم ، ولكنهم جعلوها من الوسائل المعول عليها فى خدمة السياسة والاستعمار .

وأثار القرن التاسع عشر مسألتين لا مسألة واحدة فيما يرجع إلى موقف اليهود من العصر الجديد .

أثار مسألة القومية اليهودية ، لأن القومية كانت على كل لسان فى البلاد التى يكثر فيها اليهود خاصة كبولونيا ورومانيا وأسبانيا وهولندة ، فخطر لليهود أن يطالبوا بقومية مستقلة ، وأن يطالبوا لهذه القومية بوطن تساعدهم الدول على احتلاله .

وأثار القرن التاسع عشر مسألة المساواة فى الحقوق العامة ، فاعترف بعض الأمم لليهود بالمساواة بينهم وبين غيرهم من أبنائها .

واعترضت أمم أخرى على اعتبار اليهود من الوطنيين ، لأن الوطنية لا تقبل الولاء لوطنين اثنين ، وكان اليهود قد أخذوا فى ذلك الوقت ينادون بالوطن القومى على اختلاف بينهم على موقعه : أين يكون وكيف يكون ؟

وفى هذه المرحلة صدر كتاب موريتس هيس Moritz Hess بعنوان رومة أورشليم ، ومداره كله على ضرورة الاعتراف بوطنين للشعب اليهودى ، وعلى اعتبار أورشليم مركزاً لليهودية كما تعتبر رومة مركزاً للكنيسة المسيحية الكبرى .

ومما يؤيد تلفيق الدعوى الدينية فى مسألة الصهيونية الحديثة ، أن إمام هذه الصهيونية الأكبر تيودور هرزل لم يفكر فيها إلا بعد سنوات من صيحته الأولى فى سبيل « خلاص اليهود » وإنما كانت فكرته الأولى تحويل اليهود إلى المسيحية ، وإنشاء مدرسة فى فيينا لابتداء هذه المحاولة ، وإقناع الجاليات اليهودية بين الأمم الأخرى بمحاكاتها ، ثم نظر اليهود فوجدوا لهم « لزوما » فى دسائس الاستعمار ومساعيه الخفية والظاهرة ، ووجدوا لهم « لزوما » فى عصر الصناعة والطرق التجارية خلال بلاد الدولة العثمانية ، ووجدوا لهم « لزوما » فى عصر المسألة الشرقية وتفاهم الدول المستعمرة على تقسيم تركة الرجل المريض ومنها فلسطين ، فجاءت الصهيونية بعد ذلك كله « وليدة » السياسة كما كانت وليدة لها فى أقدم عهودها .

وقبل أن تشتبك الصهيونية والمطامع الدولية خطر لليهود أن يصححوا مراكزهم ، ويلائموا بينهم وبين العصر الحديث بوسائل متعددة — لم تعرض لهم فكرة « الوطن القومى » إلا فى نهاية المطاف .

فأنشأوا جماعة هسكالا أو « شكل » فى ألمانيا لتجديد العقيدة ، والتوفيق بين التربية الدينية والتربية العصرية ، وأنشأوا جماعة « حلوقة » على غرار الجماعة القديمة التى كانت تجمع التبرعات من أنحاء الأرض ، لإيواء الشيوخ والعجزة فى أورشليم وصفد وطبرية وغيرها من مواقع فلسطين التى يكثر فيها اليهود ، وطمع بعضهم بقيادة موسى مونتفيور فى شراء البقاع الواسعة فى فلسطين من محمد على الكبير لتعميرها بالزراع من المهاجرين ، وتألفت فى الآستانة جماعة اليهود الروس المعروفين باسم « بيت يعقوب » لتشجيع الهجرة بعد استئذان السلطان .

فلما شعر اليهود بسهولة الطمع فى « الوطن القومى » رفضوا هذه المحاولات جميعاً ، واندفعوا إلى فكرة « الدولة اليهودية » ، ولم يقنعوا بالوطن القومى لمجرد السكنى والتعمير .

ولكنهم — حتى فى هذه المرحلة — لبثوا مترددين فى اختيار الموقع بين أوغندة فى إفريقية ، وإقليم من الأقاليم الخالية فى الولايات المتحدة ، وبقعة من البقاع على البحر الأسود بين روسيا والبلقان ، وكانت طائفة من أقوى جماعاتهم الدولية وأكبرها — وهى طائفة عقودة إسرائيل — تعارض فكرة الوطن القومى إلى أيام الحرب العالمية الأولى ، ولم تعدل عن معارضتها إلا بعد إعلان وعد بلفور .

وظلت فكرة الوطن القومى ، أو فكرة الدولة اليهودية ، كالسحاب الذى يتشكل على حسب أوهام الناظرين إليه ، حتى أوشك القرن التاسع عشر أن ينتهى دون أن تستقر على وضع محدود ، ثم تبلورت على شكل

ثابت فى مؤتمر بال بسويسرة سنة ١٨٩٧ ، وتم تشكيلها على الوضع الأخير بوعد بلفور بعد عشرين سنة .

أما مؤتمر بال المسمى بالمؤتمر الصهيونى فقد أصدر فى اليوم الثانى من أيام انعقاده قراراً يقول فيه تعريفاً للصهيونية إنها حركة ترمى إلى إنشاء وطن للشعب اليهودى شرعى معترف به فى أرض فلسطين ويرى المؤتمر أن الوسائل الآتية صالحة لتحقيق هذا الغرض وهى :

١ ــ ترقية اليهود المقيمين بفلسطين فى أعمالهم الزراعية والصناعية والتجارية .

٢ ــ تأليف اليهود فى جميع البلدان جماعات محلية ، أو جماعات عامة على حسب القوانين المرعية فى تلك البلدان .

٣ ــ تقوية الوعى اليهودى حيث كان .

٤ ــ اتخاذ الخطوات التمهيدية للحصول على السند الضرورى من الحكومات .

ثم نشبت الحرب العالمية ، فاتصل الصهيونيون بالمعسكرين وساعدتهم ألمانيا والنمسا عند الباب العالى لتحقيق هذا المطمع فى فلسطين ، وعلم جمال باشا أنهم يمهدون لانتصار دول الغرب على دول أوربا الوسطى فاشتد فى مقاومة مشروع التعمير ، واتفق فى أثناء ذلك أن أستاذاً كيمائياً فى جامعة مانشستر كشف طريقة لاستخراج المواد اللازمة للمفرقعات من بعض الحبوب ، فطلبت الجامعة مكافأته ، وأبى هو أن يطلب شيئاً لنفسه، قانعاً بوعد من الحكومة البريطانية أن تصغى إلى مطالب قومه .

هذا الأستاذ هو الدكتور حاييم وايزمان الذى اشتهر بعد ذلك فى زعامة الحركة الصهيونية ، وشفاعته هذه كانت المقدمة « المرغوب فيها » لإعلان وعد بلفور ، ولكنه لم يعلن يومئذ فى البلاد العربية ، بل خطرت الإشارة إليه فى الشرق العربى كله إلى ما بعد الهدنة بشهور ، وما كانت شفاعة الدكتور وايزمان إلا تعلة لإصدار هذا الوعد الذى كان جزءاً من السياسة البريطانية العامة ومعداً قبل إعلانه لتنفيذه فى الوقت المناسب ، وقد كان فى طريق التنفيذ بغير هذه الشفاعة ، وإنما أصدرته الحكومة البريطانية ليكون ثمن الدعاية الصهيونية فى الولايات المتحدة ، كى تحصل بريطانيا على المساعدات الأمريكية التى كانت فى حاجة ملحة إليها للمضى فى الحرب العالمية الأولى .

٣ ـ الصهيونية منذ وعد بلفور

دخلت الصهيونية فى دور العمل السياسى النافذ بعد وعد بلفور ، وانتداب بريطانيا العظمى لإدارة فلسطين .

وترجمة هذا الوعد « أن حكومة جلالته تنظر مع الموافقة إلى إقامة وطن قومى للشعب اليهودى بفلسطين ، وستبذل أفضل مساعيها لتيسير الوصول إلى هذا المطلب ، مع العلم بأنه لن يعمل شىء يمس الحقوق المدنية أو الدينية للطوائف التى تسكن فلسطين الآن من غير اليهود ، أو يمس الوضع السياسى المخول لليهود فى أى بلد آخر . »

ويخيل إلى بعضهم من اليهود ومن العرب أن هذا الوعد منتزع أو مغصوب بحكم الضرورات الحربية ، ولكنه فى الواقع جزء من سياسة عامة تتناول الشرق الأدنى برمته ومنه فلسطين وسائر البلاد العربية ، فهذا الوعد هو الجزء المقابل لوعود أخرى بذلت للأمراء فى بلاد العرب التى خرجت من حكم الدولة العثمانية . ومن سخرية القدر أن نرجع اليوم إلى أقوال زعماء اليهود بعد استقرار الانتداب البريطانى على فلسطين نحو عشر سنين ، فقد كان اللورد ملشت الصهيونى الإنجليزى يقول فى سنة ١٩٣٦ « إن إقامة ثلاثة ملايين من اليهود فى فلسطين سوف يقضى إلى الأبد على احتمال نجاح الثورة التى تهب على دولة الانتداب » . . وكان بن غريون رئيس الوكالة اليهودية يقول « من خان بريطانيا العظمى فقد خان الصهيونية » .

وكان غيره يصرحون بأمثال هذه التصريحات ولا يقتصدون فيها ، ولو اطلع أحد على الغيب فى تلك الآونة لقال مع أبى العلاء « وتقدرون فتضحك الأقدار . . . »

ومن الواجب على الدوام تذكر المناورات السياسية التى أدت إلى قيام الوطن القومى فى فلسطين ، فكل ما كان وليداً لهذه المناورات قد يموت بها فى يوم من الأيام ، ولا سيما وليد التلفيق ، أو وليد المفاجآت .

إن الواقع المحقق فى مسألة الصهيونية أن اليهود يستغلون الدول ، والدول تستغلهم . وهذا الواقع المحقق وحده هو الذى يقرر لنا أن العامل المهم فى بقاء الصهيونية بفلسطين يتوقف على إرادة الأمم العربية فى نهاية المطاف ، فلن تدوم الصهيونية فى الشرق الأدنى إذا عملت أمم العرب على أن تموت ولا تدوم .

وقد تكون الشعوب بمأمن من تقلبات السياسة لو أنها نشأت نشأة طبيعية على أساس قويم ، أما أن تكون تقلبات السياسة هى مادة وجودها ومادة بقائها — فهى حالة لم تعرف لها سابقة فى التاريخ .

عالجت بريطانيا مشكلة الانتداب فلم يسلس مقادها فى يديها بعد عشرين سنة من وعد بلفور ، فقسمت فلسطين شطرين بينهما شقة مستقلة فى الناصرة وبيت المقدس ، وأبى العرب واليهود هذا التقسيم ، فاقترح العرب حكومة وطنية تراعى فيها مصالح الأقلية ، واقترح اليهود حكومة يهودية تعيش فيها الأكثرية عالة على اليهود مع فتح أبواب الهجرة لهؤلاء بغير قيود ولا حدود ، ثم مضت سنتان وأعلنت دولة الانتداب قيام الحكومة

اليهودية على أن تصبح فلسطين بعد عشر سنين حكومة اتحادية ، وسمحت بدخول خمسة وسبعين ألفاً من المهاجرين اليهود خلال السنوات الخمس الأولى بعد سنة ١٩٣٩ ، فكانت لجنة الوصاية بعصبة الأمم أول المعترضين على هذا الحل ، واضطرمت نيران الحرب العالمية الثانية دون أن ينقض أو يوقف عن التنفيذ .

ثم تأسست الجامعة العربية فى أعقاب الحرب العالمية ، وتكرر العدوان فى أواخر تلك الحرب من عصابات الإرهاب الصهيونية وأشهرها عصابة أرجون ،وعصابة شتيرن ، وعرضت حكومة العمال الإنجليزية مسألة فلسطين ومسألة الانتداب على هيئة الأمم المتحدة سنة ١٩٤٧ ، فأحيلت هذه المسألة كلها إلى لجنة من لجان الهيئة ، وعادت اللجنة إلى خطة التقسيم مقترحة أن تقسم البلاد إلى حكومتين مستقلتين فى غير الشئون الاقتصادية ، وأن يوضع بيت المقدس تحت الوصاية الدولية .

وماذا كان هذا الاستقلال فى غير الشئون الاقتصادية يعنى بالنسبة إلى العرب وإلى الصهيونية ؟ .

إن ربع قرن مضى فى تشجيع اليهود على الهجرة والاستعمار وتنظيم الشركات لم يبق للعرب بقية من الاستقلال فى شؤون الاقتصاد ، فإذا استقل العرب وسلموا زمام الاقتصاد إلى الحكومة العامة فمعنى ذلك أنهم يسكنون فى حجرات بيت خلا من حجرة الطعام ، وسلم مفتاحها ومطبخها إلى الساكن الآخر يعطى منه ما يعطى ويمنع ما يمنع كما يشاء .

وقبل الصهيونيون هذا الحل ببعض التحفظ إلى حين ، واحتج العرب

عليه ، واستعصى الأمر على الدولة المنتدبة ، فنظر مجلس الأمن فيه ، وقرر بجلسة الثانى من أبريل سنة ١٩٤٨ إحالته إلى هيئة الأمم لإعادة النظر فى التقسيم ، وبحث مسألة الانتداب على احتمال إسناد الوصاية الموقوتة إلى هيئة الأمم ، فتركت الهيئة مشروع التقسيم كما كان ، وقررت أن توفد إلى فلسطين رسولا يصلح بين الفريقين ويبسط للهيئة حلا يرضيانه أو ترضاه وتفرضه على الموافقين والمخالفين .

وكانت بريطانيا العظمى قد أعلنت عزمها على الجلاء عن فلسطين ، والتخلى عن مهمة الانتداب ، وعينت للجلاء موعداً فى الرابع عشر من شهر مايو سنة ١٩٤٨ ، فكأنما كان هذا اليوم موعداً لقيام دولة إسرائيل واعتراف الولايات المتحدة بها قبل انقضاء ساعة من لحظة الإعلان .

ودخلت الجيوش العربية فلسطين ، واجتاحت أمامها عصابات اليهود ، ولأول مرة من تاريخ مجلس الأمن تعمل المادة التاسعة والثلاثون من ميثاق الأمم المتحدة عملها الناجز فى وقف القتال حرصاً على سلام العالم . . . . فكانت الهدنة فرصة لتزويد الدولة اليهودية بالسلاح والعتاد ، وتهديد كل دولة عربية على انفراد للكف عن القتال ، مع الحرمان من كل مدد تستطيع أن تحصل عليه .

وقد تجددت فى هذه المرحلة مناورات السياسة من الدول الكبرى التى تسيطر على سياسة العالم ، فاعتقدت كل دولة منها أنها آمنة من مساعدة الصهيونية ، لأن الصهيونية فى حاجة إليها ، فالولايات المتحدة تعطى القروض وتأوى فى بلادها خمسة ملايين من اليهود ، وبريطانيا العظمى

صاحبة النفوذ الأكبر فى الشرق الأدنى وعلى مقربة من حدود إسرائيل ، وروسيا يسكنها ملايين من اليهود وتدين بالمذهب الذى نشره اليهودى كارل ماركس وتابعه عليه الكثيرون من أبناء جلدته فى جميع البلدان .

ثم كان ما هو مذكور من وقف القتال فى السابع عشر من شهر يونيو سنة ١٩٤٩ وطغيان اليهود على بلاد فلسطين جميعاً إلى أقصى الجنوب وذهب أبناء البلاد مشردين بالعراء ، محرومين من المأوى والمرتزق فى مواطن آبائهم وأجدادهم منذ آلاف السنين ، وشذاذ الآفاق ينعمون بخيرات تلك المواطن ويتدفقون عليها بغير حائل ولا مانع ، حتى بلغ سكان إسرائيل أكثر من مليون وسمائة ألف عند نهاية سنة ١٩٥٢ .

لقد رأينا كيف يتدرج الصهيونيون من طمع إلى طمع كلما أنسوا التشجيع أو الإغضاء من دول الاستعمار . كانوا يقنعون بالسكن حتى وجدوا من يطمعهم فى الوطن القومى فطلبوه وزادوا عليه إقامة الدولة فى ذلك الوطن المغصوب ، وكانوا يقنعون بالقسمة فهم لا يقنعون اليوم بما دون السيطرة الكاملة على جميع البلاد ، ووضح من تسمية الدولة الناشئة باسم إسرائيل أنهم يتطلعون إلى مملكة يهوذا فى الجنوب ، ووضح من دعوتهم ودعواهم على ألسنة المتهوسين منهم أنهم يطمعون فى الدولة التى رسمت حدودها فى سفر التكوين « من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات . . . » والتى رسمت حدودها فى كلام يشوع « من البرية ولبنان هذا إلى النهر الكبير نهر الفرات . . . وإلى البحر الكبير نحو مغرب الشمس » .

وليست دعوة المتهوسين بين هؤلاء القوم غير دعوة العقلاء والحكماء كلما سنحت الفرصة ، وواتاها من الأقوياء تشجيع وإغراء . وحسب صهيون من تشجيعهم وإغرائهم حتى الساعة أنها لم تحاسب قط على مخالفة ، ولم تحفل قط بقرار يتفق عليه الأقوياء أو يختلفون . وتنقضى الأيام على مصرع رسول الأمم ، وعلى اقتحام بيت المقدس ، وعلى اختراق الحدود ، وإهدار دماء الأبرياء ، وترويع المشردين فوق ما أصابهم من ترويع وتشريد — فلا تدان صهيون بجريمة من هذه الجرائم ، بل تتجنى على غيرها وتشكوه ، فتنفتح الآذان والصدور لاستماع شكواها ، ثم لا يقال لها أقل ما ينبغى أن يقال فى هذا المجال : اذهبى فأطيعى الهيئة التى ترزئينها ثم تستمدين العون منها ، ولعلها ستعان ثم تعان قبل أن تؤمر يوماً بأن تسمع وتطيع .

وفى وسع الدول الكبرى أن تصنع كثيراً لإسرائيل ، إلا شيئاً واحداً لا تستطيعه ، لأنه لا يستطاع .

ليس فى وسعها أن تقيمها على قدميها وأن تغنيها عن معونتها ، وهى لا تفتأ تستعين بها على نفقات الدفاع ، ونفقات الإيواء والتعمير ، وسداد الديون ، وإن طال صبرها على معونتها فليس فى وسعها أن تضمن لها دوام « التقلبات السياسية » فى مصلحتها ، ولا أن تقتلع من طباع أبنائها جذور ذلك الداء الذى شكاه أنبياؤها قديماً ، وسيشكوه لا محالة أصبر الساسة من الأقوياء والضعفاء : داء الرقبة الغايظة ، وليس له دواء .

أما الأمم العربية فهى فى الحق ضعيفة أمام أنصار إسرائيل ، ولكنها

تحبط ما يعملون بعمل واحد : وهو الإعراض عنها والكف عن معاملتها .
وإن دولا أقوى من إسرائيل ، وأسلم منها بناء فى موطنها . لتنخذل مع الزمن
إذا طالت المسافة بين من تعاماهم ويعاملونها ، ونضبت مواردها عن
تعويض منافعها من أقرب الناس إلى مصانعها وأسواقها . وليس للأمم
العربية من خيار إلا هذه المقاطعة ، أو سيطرة إسرائيل عليها بما تأخذه من
خيراتها وتستفيده من جهودها .

ومن خبرته الحوادث بين هذين فقد وضح الطريق أمام عينيه .

٤ ـ الصهيونية العالمية

الصهيونية العالمية حقيقة واقعة .

هى قوة موجودة بأعمالها وآثارها ، موجودة بدعايتها وأخبارها ، موجودة بمقاصدها وغاياتها ، ولا حاجة بها إلى وجود فى صورة أخرى ما دامت موجودة بالأعمال والدعاية والغايات .

ظهرت فى القرن الماضى مجموعة من الوثائق السرية سميت بمحاضر مشيخة إسرائيل ، وانتشرت من روسيا حيث ظهرت أولا إلى فرنسا وإنجلترا ثم سائر الأقطار الأوربية ، وخلاصتها أنها تجمع المحاضر التى تسجل قرارات المشيخة الصهيونية ، وأن هذه المشيخة تلتقى من حين إلى آخر للنظر فى شئون العالم ، واتخاذ الخطط المرسومة لتوجيه السياسة الدولية وإثارة الفتن والقلاقل فى أمم الحضارة ، سعياً وراء غاية واحدة : وهى تخريب العالم وهدم دعائم الأخلاق والأديان والقضاء على كل سيادة روحية أو دنيوية فيه ، لتمكين الصهيونية من السيطرة عليه ، وتسليمه للصيارفة والسماسرة وأشباههم من خدام المال المستترين وراء كل شبكة مالية واسعة النطاق ، ومعظمهم من الصهيونيين .

والملاحظ على هذه الوثائق أنها لا تظهر فى لغة من اللغات إلا اختفت على أثر ذلك ، وأنها تختفى كلما عادت إلى الظهور مترجمة أو مطبوعة من جديد ، وهذه هى الشبهة القوية التى أقنعت

بعض المشتغلين بالنشر والصحافة الكبرى بصحة الوثائق ، واهتمام الصهونيين بإخفائها ومنع تداولها .

ونحن على بغضنا للصهيونية لا نريد أن نعطى هذه الوثائق فوق حقها ، فنحن لا نجزم بنفيها ولكننا كذلك لا نجزم بصحتها ، ولا نرى أن الدلائل التاريخية كافية لإثباتها والتعويل عليها .

بل نحن نميل إلى الشك فيها كثيراً ، لأننا نستكثر على الصهيونية أن يكون لهم خلق الطاعة والولاء ، وأن يتعودوا الإخلاص فى خدمة هيئة علنية أو سرية . فلم يعرف فى تاريخ هؤلاء القوم قط أنهم يخلصون فى طاعة هيئة دنيوية أو دينية ، وليس فى تاريخهم كله عشر سنوات متواليات خلت من الفتنة والعصيان والتمرد على الرئاسة من أبناء جلدتهم ومن غير أبناء جلدتهم ، ولا فرق بين رئاسة دينية أو دنيوية فى هذه العاهة المزمنة بين هؤلاء القوم .

بل هم لم يخلصوا فى طاعة نبى قط من عهد ابراهيم الخليل إلى عهد موسى ، إلى ما بعد انقضاء عهد النبوات الإسرائيلية وظهور السيد المسيح ، وقد وصفهم القرآن الكريم أصدق وصف فى قوله تعالى: « بأسهم بينهم شديد، تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى ، ذلك بأنهم قوم لا يعقلون » .

وهذا وصف إلهى صادق عليهم فى جميع العصور ، ولكننا لانحب أن ندينهم بكتاب لا يؤمن به أنصارهم من الغربيين ، وفى كتبهم المعتمدة كفاية وفوق الكفاية لتوكيد هذا الخلق الذى نسميه عاهة مزمنة فيهم ، ما زالت ولن تزال .

ففي التوراة من سفر الخروج « قال الرب لموسى : رأيت هذا الشعب وإذا هو شعب صلب الرقبة . »

وفي السفر نفسه بلسان الإله : أني لا أصعد في وسطك ، لأنك شعب صلب الرقبة لئلا أفنيك في الطريق .

وفي سفر التثنية يقول لهم موسى عليه السلام : « إني عارف تمردكم ورقابكم الصلبة » .

وفي سفر التثنيه أيضاً يقول لهم : « ليس لأجل برك يعطيك الرب إلهك هذه الأرض الجيدة لتمتلكها ، لأنك شعب غليظ الرقبة » .

وليس في العهد القديم سفر واحد خلا من وصف كهذا الوصف بمعناه أو بما هو أشد من معناه ، ولم تتغير طباعهم بمضي الزمن إلى أيام السيد المسيح . فإن السيد المسيح هو الذي يخاطب أورشليم قائلا : « يا أورشليم ، يا أورشليم ، يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين إليها . كم مرة أردت أن أجمع أولادك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحها ، ولم تريدي » .

وبعد السيد المسيح كان بولس الرسول يقول لهم : « يا قساة الرقاب ، يا غير المطهرين بالقلوب والآذان . أنتم تقاومون الروح في كل حين » .

فالصهيونيون لم يعرفوا في تاريخهم شيئاً يسمى الولاء والإخلاص في الطاعة لمن يتولى شئونهم ، وكل ما عرفوه وعرفوا به في تاريخهم الطويل طبيعة التمرد والشكاسة والالتواء والعصيان ، وليس هؤلاء بالذين يخلصون في طاعة هيئة خفية أو ظاهرة ، ولكنهم لا يحتاجون إلى ذلك لتحقيق مآرب الصهيونية العالمية ، فإنهم في غنى عن هذه الهيئة بما لديهم من

الوسائل الأخرى ، وهى كثيرة غير قليلة فى العصر الحاضر .

فهم موجودون فى أوطان متعددة ، ولهم — باصطلاح العصر الحديث — طابور خامس فى كل دولة ، ولهم وسائلهم التى لا تتورع عن شئ من ضروب الرشوة ، وإرضاء الأهواء والشهوات .

وهم متعصبون متحزبون فى كل مكان ، لا يجمعهم حب بعضهم لبعض ، ولكن تجمعهم كراهية الآخرين كما يجمعهم الحقد على العالم ، لأنهم استثاروه فى كل بلد وفى كل زمن ، واستثاروا فى نفوس أبنائه سوء الظن بهم وشدة النفور منهم ، فهم بغضاء إليه يعلمون أنهم مبغضون ، وحسبهم هذا ليعملوا معا متعصبين متحزبين . .

وقد قيل إن عشرة متفقين أقوى من ألف متفرقين ، لأنهم فى هذه الحالة عشرة أمام واحد ، ويتكرر هذا الموقف فى كل بيئة على تباعد الديار بينهم فتجتمع منهم حلقة مفرغة ، تحيط بكل من يحاربون أو يطمعون منه فى معونة ، فتتوافر لهم بذلك قوة متآمرة مستمرة ، لاحاجة بها إلى رئاسة خفية تسيطر عليها فى جوانب الكرة الأرضية .

ومع هذا كله لا نعتقد أن قوتهم هذه كافية — وحدها — لبلوغ ما بلغوه فى فلسطين .

إن نفاذ الصهيونية إلى فلسطين يرجع ، ولا شك ، إلى قوة الصهيونية العالمية.

ولكن هذه الصهيونية العالمية لا تعمل وحدها فى هذا الميدان ، بل تعمل معها قوتان أخريان أكبر منها ، وهما : قوة المصالح الاستعمارية ، والتعصب الشديد على الإسلام .

إن الغربيين الذين يساعدون الصهيونية العالمية لا يساعدونها حباً لها ، فما فى الناس أحد يحب الصهيونية ، والصهيونيون أنفسهم لا يحب بعضاً حتى فى فلسطين . وإنما المسألة هنا خدمة للمصالح الاستعمارية ، وعداوة للإسلام وليست محبة للصهيونية .

إن الحالة الواحدة لتطرأ على إسرائيل وتطرأ على بلد من بلاد الإسلام ، فينظرون إليها فى المغرب بعينين مختلفتين .

كل من الباكستان وإسرائيل دولة قامت على أساس العقيدة الدينية ، وكل منهما تأخر وضع الدستور فيه لاختلاف الآراء على التوفيق بين الأحكام الدستورية والأحكام الدينية . ولكنك تقرأ فى كلام الغربيين أن أمة الباكستان أمة متأخرة لأنها قائمة على أساس دينها ، ومتأخرة لأنها لم تتم بعد دستورها[1] ، ولا تقرأ شيئاً من هذا القبيل بتة عن الصهيونيين ودولة إسرائيل ، بل تقرأ عنهم كل ما شاءوا من أوصاف التقدم والحضارة .

هى إذن ثلاث قوى تعمل فى قضية فلسطين : قوة الصهيونية العالمية ، وقوة المصالح الاستعمارية ، وقوة التعصب على الإسلام ، ولهذا نقول إن الصهيونية العالمية لا حاجة بها إلى مشيخة إسرائيل ، فحسبها الطابور الخامس المنتشر فى كل مكان ، ومعه الطوابير الأخرى التى تجتمع على البغضاء وإن لم تجتمع على المودة والولاء .

---

(١) تم دستورها بعد كتابة هذا الكلام وصدر فى شهر مارس سنة ١٩٥٦ (التونسى)

٥ ــ الصهيونية العالمية

جنايتهم على أنفسهم

الصهيونية منسوبة إلى صهيون فى بيت المقدس .

ولكننا حين نتكلم عن الصهيونية العالمية ، نعنى بها شيئاً أقدم من هذه النسبة ، وأقدم من وصول العبريين إلى أرض فلسطين منذ أكثر من ثلاثة آلاف سنة .

نعنى بها ذلك الخلق الذميم الذى تأصل فى طائفة من العبريين منذ أقدم العصور ، وجعلهم بغضاء منبوذين فى كل مكان أقاموا فيه أو دخلوه .

نعنى به خلق العدوان والادعاء والأنانية ، وهو داء قديم فى هؤلاء القوم ، لم يفارقهم قط فى عهد من عهودهم التاريخية ، ولا شك أنه كان ملازماً لهم زمناً طويلا قبل ظهورهم على مسرح التاريخ .

هذه الصهيونية بغيضة إلى كل الناس ، بغيضة فى كل بلد ، بغيضة فى كل زمن ، بغيضة فى الزمن الحديث ، لا يحبها ولا يعطف عليها أحد بلا استثناء لأنصارها المستعمرين والمتعصبين .

ولقد كان الصهيونيون يعرفون أنهم مبغضون ولا يستغربون ، وكان خصومهم يعرفون أنهم يبغضونهم ولا يستغربون : كان هؤلاء وهؤلاء

لا يستغربون بغض الصهيونية لأنهم يعرفون أسبابه فى زمانهم ، وإن اختلفوا فيمن هو على حق وفيمن هو على باطل .

أما العصور الحديثة فقد اختلط فيها الأمر على بعض الباحثين فخلطوا بينه وبين التعصب الدينى على اليهود ، وهما شيئان منفصلان .

وأرادوا أن يطلقوا على بغض الصهيونية اسماً جديداً فسموه كراهية السامين (Anti-Semitism) لظنها أنها من عدواة الأجناس .

ثم ظهرت مباحث علم النفس الحديث — ولايخفى أن الكثيرين من من دعاته يهود — فراح الباحثون فى علل الظواهر الاجتماعية يبحثون عن علة نفسانية لكراهية الساميين ، وحاول بعضهم أن يجعلها علة دخيلة تصيب الأمم والجماعات كما تصيب المخبولين من آحاد الناس ، فخبطوا فى ذلك خبطاً ذريعاً ، وجانبوا الصواب فى كل ما زعموه ، لأن المحاولة من أولها قائمة على ضلال ، أو على غرض يسوق إلى الضلال .

قال بعضهم : إن كراهة الساميين مرض اجتماعى يظهر فى الأمم التى تصاب بمركب النقص ، وتشعر بأنها محتقرة بين الشعوب ، أو متخلفة عنها .

وقال بعضهم : إن كراهة الساميين مرض يصيب الأمم التى يتسلط عليها الخوف ، فتتهم من تستطيع اتهامه ، وتجد اليهود بينهم منعزلين متميزين ، فتخصهم بذلك الاتهام .

وقال بعضهم : إن كراهة الساميين داء تبتلى به الأمم المتكبرة التى توالت عليها الهزائم ، فهى تتشفى وتنتقم ممن تقدر عليه ، كما فعل النازيون .

وقال آخرون : إن الأمم الفقيرة تصاب بداء الحسد، وتنتقم من الأجانب والغرباء عنها إذا اعتقدت فيهم الثراء والنجاح .

وكل هذا لغو وخرافة ، لأن الأمم كلها لا تصاب بالأدواء النفسية ويسلم منها الصهيونيون دون سواهم . وإذا كان الصهيونيون مكروهين من قديم الزمن فالبحث العلمى المنزه عن الغرض يتجه إليهم أولا ، قبل أن يتجه إلى الآخرين .

والواقع أن الصهيونيين لم يألفوا أحداً ولم يألفهم أحد ، منذ عرف اسم العبريين فى التاريخ .

إن هؤلاء القوم من سلالة سامية نشأت فى جزيرة العرب مهد الشعوب السامية ، على أرجح الآراء .

فشجر النزاع بينهم وبين جيرانهم وهاجروا إلى العراق فى الجنوب، ثم هاجروا من جنوبى العراق إلى شماليه فى عصر يقارب عصر إبراهيم الخليل ، ثم هاجروا من العراق الشمالى إلى الصحراء السورية فدخلوا أرض كنعان ، وهناك كان يسكن الأدوميون والمؤابيون والعمالقة وعشائر مختلفة من الآراميين والكنعانيين ، وبدأ التاريخ يسمع بأنباء القتال بين هؤلاء جميعاً بعد دخول العبريين إلى أرضهم ، وبدأ التاريخ يسمع النزاع بين أتباع إبراهيم الخليل أنفسهم فانقسموا إلى شطرين .

ومنذ تلك الحقبة لا يعرف التاريخ لهؤلاء القوم فترة واحدة جمعتهم على ألفة ووئام مع جيرانهم ، فدخلوا مصر ونفر منهم المصريون ، وعادوا إلى كنعان ونفر منهم الكنعانيون ، وقامت لهم دولة فى عهد النبى

دواد فشغلتهم بالإغارة على جيرانهم واتقاء الغارة من أولئك الجيران . ثم جاء سليمان الحكيم فبنى لهم الهيكل فثاروا عليه لأنه فرض عليهم الإتاوات لبنائه وبناء قصره ، ثم انقسموا بعده قسمين : إلى الشمال وإلى الجنوب ، وحفظت كتبهم ما قاله الشماليون فى الجنوبيين ، وما قاله الجنوبيون فى الشماليين ، فإذا هو أشد وأشنع مما قاله أعداء الساميين فيهم أجمعين ، من أقدمين ومحدثين.

ثم سباهم البابليون وحملوهم إلى أرض بابل ، فلم تنعقد الألفة بينهم وبين جيرانهم هناك ، وسرحهم « كورش » عاهل الفرس بعد حين — نفيا فى حقيقة الأمر ، وعفوا عنهم فى ظاهر الأمر كما قالوا وكما قال .

وجملة تاريخهم بعد العودة من السبى تكرار لهذا التاريخ ، ولما تفرقوا فى البلاد بعد هدم الهيكل حدث لهم فى كل بلد ما حدث فى البلد الآخر : نفور وقتال وكراهية للساميين بالتعبير الحديث .

ولا حاجة إلى بيان ما حدث لهم بعد ذلك . فإنه ماثل فى جميع الأذهان ، وهو من المواضيع التى لا تنقطع الكتابة عنها والكلام فيها بين الغربيين والشرقيين ، وبخاصة بعد اقتحامهم لأرض فلسطين ، متواطئين مع ساداتهم المستعمرين ونصرائهم من المتعصبين .

أفكل العالم مريض والصهيونيون دون سواهم هم المبرءون من العلل والأمراض ؟ !

إن ذلك لهو اللغو بعينه كما أسلفنا فى هذا الحديث ، وكفى أن تبرئة الصهيونيين من الإثم والملامة تلقى التهمة على أمم العالم جمعاء . . . كفى ذلك لنعلم أنه إتهام باطل ينطوى على الغرض كما ينطوى على الضلال.

لكن الواقع أن أعراض المرض النفسانى ظاهرة محققة فى الصهيونيين على نحو لا يقبل المراء .

إنهم مصابون بالبارانويا Paranoia بكل عرض من أعراضها التى يحصيها الأطباء النفسانيون .

إن أعراض البارانويا هى غرور الأنانية والانفصام عن الوسط الذى يعيش فيه المريض، والوهم المتسلط والشعور بالاضطهاد ، والتوجس الدائم من الأعداء .

أى عرض من هذه الأعراض لا يظهر جليا واضحاً فى هؤلاء الصهيونيين؟

إنهم يسمون ربّ العالم «رب إسرائيل» ويحسبون أنه خلقهم وحدهم لعبادته وخلق الأمم جميعاً لخدمتهم إلى آخر الزمان .

إنهم مصابون بالانفصام ينعزلون فى كل مكان دخلوا فيه مجتمعين أو متفرقين .

إنهم يتوقعون الاضطهاد ويستثيرونه بوقوفهم موقف المقاومة له، سواء تعرضوا له أو حرضوه بالعزلة والتآمر على استغلال الآخرين .

إنهم يجمعون كل أعراض البارانويا والشيزوفرانيا كما يحصيها الأطباء النفسانيون .

وكراهة الساميين إذن ليست مرضاً فى الأمم الإنسانية قاطبة باستثناء الصهيونيين ، ولكنها مرض فى الصهيونيين يلازمهم فى كل مكان وفى كل زمن ، ويثير فى النفس « رد الفعل » الطبيعى له من كل إنسان سليم الطباع .

إنهم هم الجناة على أنفسهم ، وإنهم لقوم « لا يعقلون » كما وصفهم القرآن الكريم .

٦ ـ الصهيونية العالمية

دعوى الاضطهاد

حديثنا هنا موضوعه دعوى الاضطهاد .

ونحن لا نسميها « دعوى الاضطهاد » لأن الاضطهاد غير موجود أو لم يوجد فى الأزمنة الماضية ، ولكننا نتكلم عن هذه « الدعوى » من جوانبها التى تخفيها الصهيونية ، ويعاونها على إخفائها أذنابها المنتشرون فى بلاد العالم ، ومنهم السافرون والمتسترون .

نريد أن نقول « أولا » إن الصهيونية هى المسئولة عن كل اضطهاد تجره على نفسها وعلى أبناء دينها .

وأن نقول « ثانياً » إن الصهيونيين أشد الناس اضطهاداً لغيرهم إذا ملكوا القدرة الظاهرة أو الخفية .

وأن نقول « ثالثاً » إن الصهيونيين يستغلون دعوى الاضطهاد ، ويتخذونها وسيلة لتخير الأمم باسم الإنسانية والغيرة على الحرية .

إن الصهيونية مسئولة عن كل فاصل تقيمه بينها وبين أمم العالم . لأنها من قديم الزمن تقسم العالم إلى قسمين متقابلين : قسم إسرائيل وهم صفوة الخلق وأصحاب الحظوة عند الله لغير سبب إلا أنهم أبناء إسرائيل ، وقسم آخر يسمونه قسم الأمم أو « الجوييم » ويشملون به جميع الناس من جميع الأقوام والأجناس .

وفى كتب التلمود المعتبرة عندهم وصايا كثيرة عن المعاملة التى يستبيحونها مع غيرهم ولا يستبيحونها مع أحد من ملتهم ، ويكفى منها مثلان أو ثلاثة من تلمود شلقان عراق (Shulchan Araq) الذى لا يزال متداولا بينهم ، ففى هذا التلمود يقال لهم : « إذا خدع يهودى أحداً من الأمم وجاء يهودى آخر واختلس من الأممى بعض ما عنده بنقص الكيل أو زيادة الثمن فعلى اليهوديين أن يقتسما الغنيمة التى أرسلها إليهما يهواه » وهو اسم الإله فى التوراة .

ويقال لهم فى هذا التلمود « إنه وإن لم يكن من المفروض على اليهودى أن يقتل أممياً يعيش معه بسلام ، إلا أنه لا يجوز له فى حال من الأحوال أن ينقذ حياة أحد من الأمميين » .

وقد ينكر بعض الصهيونيين اتباعهم لهذا التلمود ، ولكنهم لا يستطيعون أن ينكروا أنهم يستبيحون اليوم ما أبيح لهم قديماً فى التوراة ، وقد جاء فى كتاب الخروج من الإصحاح الحادى عشر أن شعب إسرائيل أمر « بان يطلب كل رجل من صاحبه وكل امرأة من صاحبتها أمتعة فضة وأمتعة ذهب . . وأن الرب أعطى نعمته للشعب فى عيون المصريين » فأخذوا الأمتعة وهم على نية الرحيل من الديار .

ومعاملتهم لأعدائهم من باب أولى لا تعرف الحدود ، ومنها استباحة قتل الأطفال والنساء وإحراق الحرث والنسل وتدمير المدن بما فيها من مساكن وحصون .

وليست عداوة الأمم داء قديماً عفى عليه الزمن كما يقول اليوم بعض

الدعاة الصهيونيين ، فهى باقية على أشدها حتى اليوم ، وهى باقية حتى فى شعور الصهيونيين نحو المنقذين لهم والقادمين لنصرتهم ، وقد ذكر كمشى (Kimche) داعية الصهيونية المشهور أن المحققين هالهم ما وجدوه من شعور المعتقلين بالعداوة نحو المسيحيين فى سنة ١٩٤٦ وأن واحداً من اليهود مزق الجواز الذى يبيح له السفر إلى الولايات المتحدة لأنه لا يطمئن إلى أحد من المسيحيين . »

قال كمشى فى الصفحة الثالثة والثمانين من كتابه الطرق الخفية : « إن عداوة الأمم — Anti Goyism — ذلك السرطان القديم فى الحياة اليهودية قد جدد أخيراً أجله فى الحياة ، وأنه مع الصهيونية يكهرب معسكرات اليهود فى القارة الأوربية » .

وكمشى هذا هو صاحب صحيفة « جويش أوبزرف » وصاحب المؤلفات المشهورة فى الدعاية الصهيونية ، ولا يزال قائماً بهذه الدعاية إلى الآن .

فالدعوة المعروفة بعداوة السامية أو عداوة اليهود حركة مشكوك فيها قابلة للاختلاف على بواعثها ، ولكن الدعوة التى لا شك فيها هى عداوة الأمم التى طبع عليها الصهيونيون المعاصرون ، أو عداوة الجوييم ، أو ال (Anti Goyism) كما يسميها الصهيونيون المعاصرون جهرة ولا يتكلفون لمداراتها وتلبيسها ، ثقة منهم بالضمائر المعروضة فى سوق الخداع والتضليل ، وثقة منهم فوق ذلك بغفلة الغافلين ، وفرط العداوة فى نفوس بعض الناس للإسلام ، فهم يحابونه ولا يجهلون مساوئ الصهيونيين .

فإذا كان هذا هو شعور الصهيونية نحو الأمم فلا غرابة فى شعور الأمم نحوهم بفواصل التفرقة والانقسام ، ويتمم هذا الشعور أن الصهيونيين من أيام أسلافهم متوارثون خلائق العناد والشراسة ، ويصفهم أنبياؤهم بصلابة الرقاب ، ويقول موسى عليه السلام نفسه : إلى متى يغفر الرب لهذه الجماعة الشريرة المتذمرة ؟

أما أن الصهيونيين معروفون باضطهاد المخالفين لهم كلما استطاعوا فلا حاجة إلى الشواهد على ذلك من التاريخ القديم ، وهو مشحون بهذه الشواهد منذ أربعة آلاف سنة بل حسبنا شهادة واحد منهم وداعية من أكبر دعاتهم ، وذلك هو صاحب « نيويورك تيمس » الذى ينشر لهم أباطيلهم فى الولايات المتحدة . فإنه يقول إنه « ينفر من أساليب الإكراه التى يعمد إليها الصهيونيون فى أمريكا إذ يستخدمون الأسلحة الاقتصادية لإسكات من يخالفونهم ، وأنه هو نفسه — وهو أمريكى يدين باليهودية — قد يتعرض للمتاعب من جراء هذه الشكوى » .

إن هذه الشكوى مما أشار إليه دوجلاس ريد فى الصفحة المائة والتسعين من كتابه « الدخان والخنق » . . . وزاد عليها أنه يستطيع أن يعززها بما يملأ كتاباً كاملا عما يلقاه المخالفون للصهيونية من ضروب الاضطهاد .

فليس من حق صهيونى أن يشكو الاضطهاد إذا تعرض له بسوء نيته وسوء خلقه وسوء فعله ، فإنما الذنب فيه ذنبه قبل غيره ، وليس من شأن وء النية وسوء الخلق وسوء الفعل أن يجر إلى المودة والشكر والثناء .

والأعجوبة الكبرى فى دعوى الاضطهاد أن الصهيونيين يستخدمونها لإقناع الناس بمطالبهم ، ولا يتورعون عن أكذوبة قط فى سبيل مطلب مقصود .

هل يخطر على بال أحد أن هجرة اليهود من ألمانيا كانت باتفاق مع هتلر ؟ وأن حركة الاضطهاد كانت تنظم على علم من الدعاة الصهيونيين فى القارة الأوربية ؟

هل يخطر على بال أحد أن الصهيونية كان لها مكتب معترف به فى برلين ، وأنها كانت على اتصال دائم « بالجستابو » عن طريق هذا المكتب وفروعه فى البلاد الألمانية ؟

نعم . كان لها مكتب معلوم فى العمارة رقم (١٠) من شارع مين كستراس Maine Chestrasse يديره اثنان أحدهما يدعى بينو Pino والآخر يدعى بار جلعاد Bar Gilad وكلاهما من زعماء الحركة الظاهرين فى أنحاء القارة الأوربية . . . وكلاهما مذكور بالفخار فى كتاب كمشى — الذى سبقت الإشارة إليه .

وكان هذا المكتب ينظم الهجرة الصهيونية سراً إلى فلسطين ، فى الوقت الذى تثار فيه الثائرة على الجستابو وفظائعه المسلطة على اليهود . . !

ولما أعلن الجنرال مورجان ، بعد هزيمة ألمانيا ، أنه لم ير أحداً من اليهود المهاجرين فى حالة سيئة ، وأنهم جميعاً يهاجرون ووجوههم مشرقة ، وجيوبهم منتفخة بالأموال — هبت عليه الأقلام المأجورة من أنحاء العالم تتهمه بالنازية والتواطؤ مع الأعداء ، وتلح على حكومته بوجوب تجريده

من ألقابه ومن كسوته العسكرية ، جزاء له على كشف القناع عما وراء الستار .

هذه هى « دعوى الاضطهاد » فى جوانبها التى تخفيها الصهيونية ؛ وهى تدين المضطَّهِدين قبل أن تدين المضطَّهَدين، وتبرئ العالم كله من إثم الصهيونية ، لأنها لو وجدت فى عالم من الملائكة لما كان لها فيه نصيب أكرم من هذا النصيب، بل لعلها كانت فى عالم الملائكة لا تنال من الرغد والنجاح ما تناله بالرشوة وخدمة الشهوات فى ميادين السياسة الدولية ، كما ابتلى بها العالم الآن .

٧ ـ الصهيونية العالمية
والنبوغ

من الحقائق المتواترة، بل من المشاهدات العيانية الثابتة، أن الصهيونيين ـ كما قدمنا ـ مكروهون فى كل مكان وفى كل زمن، وأنهم يعرفون ذلك ولا يجهلونه، ويعترفون به ولا ينكرونه ... لأنه أظهر من أن يجوز فيه المراء.

يعرف الصهيونيون أنهم مكروهون، ويعترفون بذلك لأنه ظاهر متواتر، ولكنهم لا يعترفون به لمجرد الاعتراف بالواقع الظاهر المتواتر، بل يعترفون به لأنهم ينتفعون منه، ولأن دعواهم كلها قائمة على شكوى الظلم والاضطهاد، وعلى الحاجة الملحة إلى الإنصاف.

يعرفون أنهم مكروهون، ويحاولون فى الزمن الحديث أن يفسروا ذلك تفسيراً يبرئهم من العلة، ويرجع بالعلة كلها إلى أمم العالم دونهم، فلا يفلحون ! !

على أنهم فى الزمن الأخير يسلمون أن العلة منهم، ولكنها علة تشرفهم ولا تعيبهم، وإنما تعيب غيرهم من أعداء الساميين.

العلة فى زعمهم أنهم قوم محسودون، لأنهم قوم ممتازون بالنبوغ والنجاح، وأنهم أصحاب كفايات لم تجتمع لغيرهم من الأمم . . . فهم ناجحون فى ميادين الأعمال؛ ناجحون فى ميادين العلوم والفنون، وخليق بهذه الكفايات النادرة، خليق بهذا النجاح الملحوظ أنه يجلب عليهم

الحسد والكراهية ، لغير ذنب جنوه ! !

وهذا هو الوهم الباطل بحذافيره ! .

هذه هي الإشاعة الكاذبة من الألف إلى الياء !

هذه هي الأكذوبة التي يقوم الدليل عليها بالحساب والأرقام ، وبالنظر إلى الواقع الذي نراه بيننا ، ولا يذهب بنا إلى بعيد .

في مصر كثير من الجاليات التي تعمل في ميادين الحياة العامة غير الصهيونيين .

فيها جاليات من اليونان ، ومن الأرمن ، ومن إخواننا أبناء الأمم العربية الشرقية .

ونظرة سريعة إلى الناجحين من كل جالية ، ترينا بالحساب والأرقام أنهم لا يقلون عن الناجحين من الصهيونيين .

ويبقى بعد ذلك فارقان عظيمان : الفارق الأول أن الناجحين من هذه الأمم ينجحون في التجارة والزراعة والصناعة والعلوم والفنون ، وأن الصهيونيين — على خلاف ذلك — قلما ينجحون في عمل غير السمسرة والتجارة .

والفارق الآخر أن الجاليات الأخرى تعمل وحدها ولا تستند إلى عصبة عالمية من أبناء قومها منتشرة في أرجاء العالم ، وليس منها طوابير خامسة مبثوثة في كل بقعة تعاونها سراً وجهراً ، وتحارب من ينافسونها ويزاحمونها ، كما يفعل الصهيونيون .

فالصهيونيون — مع هذا التعاون بينهم وبين طوابيرهم الخامسة في أنحاء العالم — لم يبلغوا من النجاح مبلغاً يفوقون به غيرهم ، ولم يبلغوا نجاحاً

إلا فى ميدان واحد دون سائر الميادين .

ندع هذا ونعود إلى دعوى النبوغ فى العلوم والفنون ، فلا نرى أن الصهيونية أنشأت لها ثقافة مستقلة قط فى زمن من الأزمان : وإنما يستفيد الصهيونى الألمانى من ثقافة ألمانيا ، ويستفيد الصهيونى الإنجليزى من ثقافة إنجلترا ، ويستفيد الصهيونى الأمريكى من ثقافة أمريكا . ويقال مثل ذلك عن الصهيونيين فى إيطاليا وسويسرة وهولندة والبلجيك ، فهم يستفيدون من ثقافات هذه الأمم ، وينبغى — لذلك — أن يكون الناجحون منهم فى العلوم والفنون أضعاف الناجحين من جميع الأمم بالنسبة لعددها .. ولكنهم — بالنسبة إلى عددهم ، وبالنسبة إلى استفاداتهم من جميع الأمم — أقل من غيرهم فى عدد النابغين بكثير .

وإذا ذكرنا الطوابير الخامسة فى ميادين الأعمال الاقتصادية ، فلنذكر هذه الطوابير الخامسة فى ميادين العلوم والفنون ، ولنذكر أن الصهيونيين يتدخلون فى شركات الصحف وشركات الإعلان ، وشركات النشر والطباعة ، وأنهم يتعصبون ويتألبون ويتحزبون ، فينال الكاتب الصهيونى من الشهرة فوق ما يستحقه ، ويبدو ذلك جلياً فى شهرة أناس من أمثال لدفيج ، وموروا ، وزفايج ، وكافكا ، وريلكة ، وبروست وسارتر ، وآخرين وآخرين . . . فإنهم أقل من نظرائهم فى بلادهم ، ولكنهم يشتهرون بفعل الدعاية والتآمر عليها ، لأنهم صهيونيون آباء وأمهات ، أو لأنهم أبناء أمهات من الصهيونيين .

إن المقياس الصحيح لنبوغ الصهيونيين فى العلوم والفنون هو تاريخهم القديم .

إن تاريخهم المستقل بثقافته ودراساته هو المقياس الصحيح لتلك العقول ، أو لتلك الكفايات ! !

وقد كانت فى الإسكندرية مكتبة جمعت مئات الألوف من المجلدات فى الطب والفلك والجغرافية والحكمة والرياضة وسائر العلوم ، وكانت هذه المكتبة الجامعة التى احترقت فى بعض الحروب عنواناً لثقافة الأمم القديمة من يونان ورومان وبابليين ومصريين ، وكانت فيها مخطوطات من تواليف هذه الأمم ومقتبساتها ، فكم كتاب كانت فيها من تواليف الصهيونيين الأقدمين ؟ كم أثراً من آثارهم فى علوم الفلك أو الجغرافية أو الهندسة أو الطب أو الفلسفة ، أو غيرها من ثمرات العقول الإنسانية ؟

لا كتاب ! ولا أثر ! ولا ثمرة . . وهذا هو المقياس الصحيح لتلك العقول وتلك الكفايات .

ولقد كان أذكياء اليهود يخجلون من هذه السبة ، وكان أذكياء الأمم يعيرونهم بها ويسألونهم عنها ، كما فعل ابيان (Appian) حيث وجه السؤال بصددها إلى المؤرخ اليهودى يوسفيوس ، فبماذا أجابه يوسفيوس؟

إنه لم ينكر السبة لأنه لا سبيل للإنكار ، وإنما اعترف بها واعتذر منها كما قال بحروفه : « إننا نسكن بلداً بعيداً من البحر ، ولا نتصل بالمعاملات ، وليست بيننا وبين الأمم مواصلات ، فهل من العجب أن أمة كهذه الأمة على بعدها من البحر قبل اشتغالها بالكتابة — تظل مجهولة بين غيرها ؟ »

وقد أورد فولتير هذه العبارة ، فعلق عليها قائلا — على فرض أن كتب

العهد القديم تعد من كتب الصهيونية : « لابد أن نلاحظ أن اثنين وعشرين كتاباً صغيراً ليست بالعدد الكبير إذا نظرنا إلى آكام الكتب التى كانت محفوظة فى مكتبة الإسكندرية . . . ولاشك أن اليهود قد كتبوا قليلا وقرأوا قليلا ، وأنهم كانوا على جهل مطبق فى علوم الهيئة والرياضة والجغرافية والطبيعيات ، وأنهم لم يفقهوا شيئاً من تواريخ الأمم الأخرى ، ولم يبدأوا بالتعلم إلا فى الإسكندرية حيث أخذوا يهتمون بتحصيل بعض المعارف ، وما كانت لغتهم إلا خليطاً بربرياً من الفينيقية والكلدانية المحرفة ، ناقصة فى تصريفات الأفعال ، فقيرة فى أدوات التعبير ، وهم عدا هذا لا يظهرون الغرباء على كتبهم ولا على عناوينها . . .

ومن السهل أن يقال عن فولتير كل شىء إلا أنه كان من أعداء الساميين ، ولو كان من أعدائهم لما قدح ذلك فى كلامه عنهم ، لأنه لم يقرر كلمة واحدة فى غير الواقع الملموس .

تلك حقيقة الدعوى التى يروجها الصهيونيون عن النبوغ المحسود ، وعن الكراهية التى يثيرها فى النفوس امتيازهم بالكفايات والملكات ، فهم فى الثقافة عالة على كل أمة يستمدون منها التعليم ، وهم فى ميادين الأعمال دون غيرهم من الأمم التى لا تستعين بالطوابير الخامسة كما يستعينون بها ، وآية ذلك ظاهرة من المقارنة بينهم وبين الجاليات الأخرى فى الديار المصرية .

وتلك الطوابير الخامسة هى مصدر القوة الصهيونية العالمية ، وهى التى نشرحها فيما يلى من الفصول .

٨ — الصهيونية العالمية

وطوابيرها الخامسة فى ميادين السياسة والاقتصاد

الطوابير الخامسة إذن هى مصدر القوة الكبرى للصهيونية العالمية، لأنها منتشرة فى كل بلد، متفقة على الحقد والضغينة، وإن لم تتفق على المحبة والخير، مطلعة على أسرار الدول وأسرار الشركات وأسرار المجتمعات . ولا توجد قوة فى العالم تنتشر هذا الانتشار ، وتتفق على الحقد والضغينة هذا الاتفاق ، وتطلع على الأسرار وعلى وسائل استغلالها هذا الاطلاع .

لقد وُجدت فى العالم دول قوية نشرت جواسيسها فى كل بلد ، واستأجرت الدعاة لترويج مقاصدها وتمهيد الأذهان لقبول سياستها ، ولكنها لم تبلغ فى القوة مبلغ الصهيونية العالمية . لأن الدولة القوية تناهضها دولة قوية مثلها، وتستثير عليها الأوطان التى تحكمها، ولأن الجاسوس الذى يعمل لدولة غريبة أو قريبة — غير الجاسوس الذى يعمل لنفسه ولجنسه ويصدر فى عمله عن الحقد المتغلغل بين جوانحه ، والموروث من أبيه وجده ، ويعتقد أن إلهه يبارك حقده وشره ، ويتكفل له بالنصر على أعدائه ، وقلما يتمكن الجاسوس فى بلد من البلدان كما يتمكن منه الصهيونى المقيم فيه ، المرتبط بمعاملاته وعلاقاته ، وقلما يتجاوز جواسيس الدول الألوف إلى الملايين . . . أما طوابير الصهيونية فهم يتجاوزون الملايين ، من الظاهرين غير المستترين .

نعم من الظاهرين غير المستترين ، لأن الغالب على الكثيرين أن يحصروا

الصهيونين فلا يحسبون منهم إلا المقيمين على ديانتهم المعترفين بنسبتهم إلى أبناء جلدتهم ، ولكنهم لا يحسبون الصهيونيين الذين أظهروا التحول عن دينهم ، ليكون هذا التحول أعون لهم على الدسيسة ، وأخفى لأغراضهم عن الرقباء ، وأدنى بهم إلى مكامن الأسرار وبواطن النيات .

وهناك غير الصهيونيين المقيمين على دينهم ، وغير الصهيونيين المتحولين عنه إلى دين آخر ، طوائف من الصهيونيين بالمصاهرة والمقاربة فى الشعور — لا يقلون فى الغيرة على قضية الصهيونية عن زملائهم الآخرين .

هناك الصهيونيون من الأمهات الصهيونيات ، وقد ترقى بعضهم إلى مراكز الوزارة فى أكبر الدول ، وتربوا من المهد على خدمة الصهيونية ، كما يتربى الطفل على حب أمه ، وهو لا يلتمس لذلك الحب علة ولا برهاناً غير العاطفة التى لا تحتاج إلى تعليم ولا تلقين .

فالصهيونيون أكثر من ملايينهم الظاهرين ، وهم — مع هذه الكثرة — يطلعون على أسرار الدول والمعاملات المالية بحكم صناعتهم ، إذ كانت الصناعة الأولى التى توارثوها هى صناعة الصيرفة والسمسرة المالية ، وهى أحوج الصناعات إلى الاطلاع على الأسرار . لأن سراً واحداً عن الحرب والصلح قد يعمر الخزائن بالملايين ، وقد يخرب الخزائن ذات الملايين .

وهذا عدا أسرار المضاربات فى الأسواق بمعزل عن أخبار الحرب والسلام . . . فربما ارتفعت أسهم وهبطت أسهم من جراء سر يعرفه المضارب قبل الأوان ، وربما حل الدمار بقطر واسع من عواقب هذا الارتفاع وهذا الهبوط .

وليست الأعمال المالية ــ أعمال الصيرفة والسمسرة ــ وقفاً على الصهيونيين ، فهناك صيارفة كبار من غير صهيون ، وهناك البيوت المالية فى جميع الأمم والقارات ، ولكن الشبكة العالمية وقف على الصهيونية العالمية ، فلا توجد شبكة مثلها للصيرفة والسمسرة تضارعها فى الانتشار .

يوجد فى العالم أفراد من ملوك المال أمثال مورجان وروكفلر ، ولكن لايوجد فيه ملوك مال من قبيل الأخوة روتشيلد : روتشيلد بريطانى فى لندن ، وروتشيلد فرنسى فى باريس — وروتشيلد ألمانى فى برلين ، وروتشيلد نمسوى فى فينا ، وحولهم شبكة محكمة ، فى السر والعلانية ، تحيط بالأسواق ودواوين الحكومات .

قال الكاتب الإنجليزى شسترتون الذى ننقل عنه هذه الملاحظة من كتاب : فاجعة السامية وعداوتها . « إن سفينة خرجت من ميناء فى أمريكا اللاتينية أثناء الحرب العالمية ، وأرادت الدولة البريطانية أن تردها فلجأت إلى من ؟ . . إلى بيوت روتشيلد ، فوقفت السفينة حيث شاءت » واستطاع المال فى هذا الحادث ما لم تستطعه القوة . لأن القوة تخشى عواقب المناورات السياسية ، وتتقيد بالقانون الدولى ، وتخاف من سوء السمعة ، ولكن المال يفعل فعله سراً دون أن يعلم أحد بمن عمل ولماذا عمل . وقد يكون فى عمله الرضى للمخدوعين غير العارفين ، وللمنتفعين بتدبيره من العارفين .

ومضى شسترتون A.K. Chesterton يقول فى الكتاب نفسه فى الصفحة الثمانين : « « والأمر أعمق من ذلك وأخفى . فقدحدث قبل

الحرب العالمية الأولى بعشر سنوات ، أن أوغندة عُرضت على الصهيونيين فرفضوها ، لأنهم علموا أن حرباً عالمية فى الطريق ، وأن فلسطين فى خلال تلك الحرب تنتقل على سبيل الهبة إلى أيدى البريطان » .

قال شسترتون بعد ذلك : « إن يهوديا بريطانيا معروفاً تحدث إلى وليام هيكى Hickey عن مشروعات يتممها بعد الحرب ، أى قبل أن تشتعل الحرب العالمية الثانية بسنتين .

وفى الصحة الخامسة والثمانين من هذا الكتاب بعينه يروى شسترتون قصة الكتاب الأبيض الذى صدر من وزارة الخارجية البريطانية عن ثورة روسيا فى أعقاب الحرب العالمية الأولى ، وأن هذا الكتاب الأبيض جمع من الأيدى بعد صدوره ، وتغيرت بعض عباراته ، ولم يكن ما تغير منه إلا عبارات تشير إلى المساعى الصهيونية ، ثم صدر الكتاب كما هو بعد هذا التغيير .

وينقل الكاتب كلاماً كثيراً عن الصحيفة اليهودية الرسمية التى تسمى" جويش كرونيكل Jewish Chronicle » لا يخطر على البال إلا إذا اطلع القارئ على نصوصه التى لاشك فيها ، ومنها أن السير ستيوارت صمويل — كما جاء فى عدد السابع عشر من شهر ديسمبر سنة ١٩٠٩ — قد أنبأ عن تولى مستر شرشل لوزارة الداخلية فى الوزارة القادمة ، وأنه سيؤيد القوانين التى ترضى النزلاء اليهود ولا يتيسر تأييدها فى الوقت الحاضر .

وقد نشرت صحيفة مانشستر جارديان فى عدد الحادى والعشرين من شهر أبريل سنة ١٩٠٨ أن مستر شرشل أرضى اليهود بأجوبته عن بعض

الأسئلة ، وأنهم فضلوه وخصوه بتأييدهم وقدموه على اليهودى الصراح جوينسون هيكس Joynson Hicks . . . ولولا ذلك لما كان على المنبر الذى ارتقاه ذلك اليوم . . . »

ومستر شرشل كما يعلم حضرات القراء هو الذى كان يقول ولا يدارى، خبيئة صدره « إنه صهيونى » . . . وهو الذى نقلت عنه الديلى تلغراف فى التاسع عشر من شهر يناير سنة ١٩٢٦ أنه قال : «إنى فى كل حياتى السياسية كنت على صلة حسنة بالمواطنين اليهود » . . . وبعد هذا وذاك ، لا يخفى أن الرجل ينتمى من جهة أمه إلى سلالة يهودية !

* * *

هذا طابور من الطوابير الصهيونية الخامسة التى تعمل للسيطرة العالمية، وهو طابور الصيارفة والسماسرة ، وله من الوسائل — كما رأينا — ما يطلع به على أسرار الحروب المقبلة ، وما يجرى فيها لمصلحة الصهيونية ، وله من الوسائل ما يتسلل به إلى مراكز الوزارات والمجالس النيابية ، وله من الوسائل مالخصه روتشيلد فى كلمة واحدة حيث قال :

« مكنى من إصدار النقد والإشراف عليه فى أمة من الأمم ولا أبالى بعد ذلك من يشرع لها القوانين » .

وإن هذا الطابور الخامس لواحد من طوابير كثيرة ، فإن يكن فى الأمر عجب فليس هو العجب لنفوذ الصهيونية فى العالم ، بل العجب ألا يكون لها فى العالم نفوذ أكبر من هذا النفوذ . . .

٩ – الصهيونية العالمية
وطوابيرها الخامسة فى ميادين الثقافة

حسب الصهيونية العالمية سلاحاً ماضياً فى جميع الميادين – طابورها الخامس فى ميدان المال والاقتصاد .

إن هذا الطابور الخامس متغلغل فى كل ميدان ، فى كل بلد، فى كل حركة عالمية ، فى كل دولة من الدول الكبرى على الخصوص :

وحسب الصهيونية العالمية أن يكون لها هذا الطابور الخامس ، لتملك به وسائل السيطرة فى كل ميدان من ميادين الحضارة الحديثة ، وفى مقدمتها ميدان الثقافة والدعاية العالمية .

لكن الصهيونية العالمية لا تكتفى بالطابور الخامس فى ميدان المال والاقتصاد ، ولا تكتفى بأثره القوى فى شئون الدعاية وما يتصل بها من شئون الثقافة وشئون الآداب والفنون على الجملة ، وإن كان فى هذا الأثر الكفاية.

لا تكتفى بسلاح المال والاقتصاد عامة وإن كان فيه الكفاية . بل تعمل للسيطرة على الثقافة العالمية مباشرة فى ميدانها الأصيل ، ولا تقنع منه بسيطرة الماليين والصيارفة وأصحاب الشركات والمشروعات فى ميدانهم الكبير .

تتوسل الصهيونية العالمية إلى السيطرة على الثقافة والفنون بوسائل كثيرة ، نتكلم فى هذا الفصل عن بعضها لأنها أظهرها وأعمها ، ولا نحصرها

جميعاً لأنها بطبيعتها متشعبة فى كل طريق ، ويوشك أن تتشعب إلى كل مركز من مراكز الثقافة والدعاية من بعيد ، أو من دورة ملفوفة لا تفطن لها الأنظار .

وسائلها الظاهرة للسيطرة على ثقافة العالم هذه الوسائل الأربع :

(أولا) وسيلة الصحافة العالمية.

(ثانياً) وسيلة الشركات التى لها اتصال وثيق بالصحافة ولا سيما شركات الإعلان .

(ثالثاً) شركات النشر والتوزيع .

(رابعاً) هيئات الثقافة العالمية .

وهذه الوسائل الأربع كافية — مع التضامن والتألب — لتمكين الصهيونية العالمية من السيطرة على الكتاب والقراء لاتتيسر لقوة عالمية أخرى.

تتمكن الصهيونية العالمية من الصحافة بالمساهمة فى رءوس الأموال ، والمساهمة فى التحرير والمراسلة، وبالمساهمة فى السبق إلى الأخبار والأسرار .

ولكن الوسيلة النافذة هى الوسيلة الثانية ، وهى شركات الإعلان .

فالصحف التى تطبع الملايين فى البلاد الغربية لا تستغنى عن الإعلانات ، ولا يتأتى لها تعويض النفقات الكثيرة بثمن البيع أو الاشتراكات السنوية . فإن ثمن الصحيفة أقل من ثمن الورق الذى تطبع عليه ، فضلا عن تكاليف التحرير والإدارة والطباعة والتوزيع ، وكلما اشتدت المنافسة بين الصحف عملت على نقص ثمن النسخة وازداد تعويلها على الإعلان ، حتى بلغ ثمن الصحيفة المؤلفة من عشرين

صفحة بنساً واحداً ، وبلغت أجور الإعلان خمسة أضعافها فى الربع الأول من القرن العشرين .

والصحيفة التى تجازف بالموت هى الصحيفة التى تهاجم الصهيونية العالمية ، أو تناهضها فى دسيسة من دسائسها ، فإن المساهمين فى رأس مالها يهددونها ويحرجونها فى مجالس الإدارة ، فإن لم تكن للصهيونيين حصة كبيرة من رأس مالها ، ولم يكن لهم دخل فى تحريرها وإدارتها ، فهناك الإعلانات التى تعول عليها ولا تستغنى عنها ، فإنها تنقطع عنها فجأة ، وتتركها عرضة للإفلاس ، ولا تزال عرضة للإفلاس والتعطيل حتى تتوقف فعلا عن الصدور ، أو تدركها شركة جديدة ، بمعونة جديدة ، معلقة على قبول السياسة التى تملى عليها ، بأسلوب صريح أو غير صريح .

وليس كل الكتاب فى الغرب من كتاب الصحافة الذين يعملون لها فى التحرير والمراسلة واصطياد الأخبار والأسرار ، بل هناك كتاب الأدب وكتاب الاجتماع وكتاب المذاهب الفكرية والفنية على التعميم . وهؤلاء لا تتركهم الصهيونية العالمية بمأمن من وسائل تأثيرها وطغيانها فى كثير من الأحوال . . . ووسائل النشر والتوزيع والنقد بعض أدواتها الفعالة فى عالم التأليف والتفكير .

وليس بالقليل بين دور النشر ما يملكه الصهيونيون منفردين بتمويله وإدارته ، وأكثر من ذلك دور النشر التى يساهمون فيها بالحصص والأسهم ؛ أو الإدارة والإشراف ، وكل هذه الدور لا تستغنى عن الدعاية الصحفية وغيرها من أساليب الدعاية فى العصر الحديث .

وتأتى الهيئات العالمية بعد هذه الهيئات المشتغلة بالصحافة أو النشر أو الإعلان والدعاية .

تأتى بعد ذلك هيئات عالمية لا تخطر على البال لأول وهلة ، لأنها مفروض فيها أن تعمل لخدمة الأمم الإنسانية جميعاً ، ولكنها لا تعمل لخدمة أحد كما تعمل لخدمة الصهيونية العالمية .

خذوا لذلك مثلا تلك الهيئة المعروفة باسم « اليونسكو » . . . والتى يقال إنها مجعولة لخدمة الثقافة الإنسانية فى أرجاء العالم ، والتى تتقاضى المال من كل أحد غير الصهيونيين .

فهذه الهيئة العالمية — الإنسانية — ينتشر فى دواوينها الصهيونيون بين أمناء السر ، ورؤساء المكاتب ، ومديرى الحسابات ، وزمرة المحررين والمسجلين ، ولم تعمل حتى اليوم عملا أظهر وأجهر من أعمالها فى خدمة الصهيونية ومحاربة أعدائها ، وبخاصة أعدائها المعروفين بكراهة الساميين .

وبين أيدينا الآن نحو عشرين رسالة فى موضوع العنصر والسلالة ، تدور كلها من بعيد أو قريب على محور واحد ، وهو الدفاع عن الصهيونية ، وتسفيه آراء الناقمين عليها والمشهرين بها ، والقائلين بالفوارق الجنسية التى تمسها وتعيبها فى نظر الأمم الأخرى .

وظاهر هذه الدعوة أنها إنسانية عامة ، وبعض المشتركين فيها يكتبون لها على هذا الاعتبار ، ولكن الاهتمام بها فى الواقع إنما هو اهتمام بالسامية دون غيرها ، لأنها هى مسألة العنصر المعروضة هناك على الأسماع والأبصار ، وعلى العواطف والعقول ، ولا يوجد إنسان تبلغ به

البلاهة أن يتصور « اليونسكو » عاملة على محاربة الولايات المتحدة مثلا فى قضية الزنوج السود ، ولا عاملة على خدمة الصهيونية دن غيرها : تبذل فيها أموال الأمم ، وتسخر لها الهيئة العالمية الدولية ، باسم العلم والإنسانية .

ولا يحسبن أحد فى الشرق أننا نحن الشرقيين بمنجاة من هذه الشبكة العالمية فى قضايانا مع الصهيونية ، فإن الدعاية التى يسيطر عليها الصهيونيون لا تنسى الانتقام من أعدائها ، ولا تنسى مكافأة أصدقائها ، وبين حين وحين نسمع تلك الدعاية الخارجية — التى لا تعرف حرفاً واحداً من العربية — تهلل لبعض الأعوان ولا تعرف لهم عملا إلا أنهم أغضبوا الإسلام ولم يغضبوا الصهيونية بفعل أو كلام .

ولنا أن نتخذها قاعدة عامة فى الدعاية العالمية التى تتولاها الصهيونية .

تلك القاعدة العامة أنها لا تشيد بذكر كاتب من الأوروبيين أو الأمريكيين ، لا يعمل طوع بنانها فى ترويج دعوتها الظاهرة أو الخفية ، ومن دعوتها الخفية هدم العقائد والأخلاق وتحطيم الأديان والأوطان ، وليس على حضرات القراء عناء كبير للتحقق من هذه القاعدة ، فحسبهم أن يلتقطوا خمسة أسماء أو ستة من أصحاب الحظوة فى الدعاية العالمية ، فلن يجدوا منهم واحداً يعادى الصهيونيين ، وقد يجدونهم جميعاً خداماً للصهيونيين السافرين أو المقنعين .

١٠ ــ الصهيونية العالمية

وطوابيرها الخامسة فى المجالس النيابية

حديثنا هنا عن الطوابير الصهيونية الخامسة فى المجالس النيابية .

والصهيونية العالمية تهتم بالوصول إلى المجالس النيابية أحياناً، ولكنها لا تهتم بالوصول إليها فى جميع الأحيان ، لأنها تختصر الطريق فتصل إلى الحكومة مباشرة ، فتعطل ما تعطل من القوانين الصادرة ، ومن التشريعات المنتظرة ، أو توجه السياسة عملا إلى غير وجهتها التى لا ترضى عنها.

ولقد حدث فى بلاد المجر أن الصهيونية التهمت ثروة الفلاح الصغير ، وملكت زمام الفلاح الكبير ، بالديون واشتباك المعاملات مع الشركات والمصارف ، وساعدها على ذلك أن اليهود ــ منذ القدم ــ كثيرون فى أوربة الوسطى وأوربة الشرقية ، وأنهم ازدادوا كثرة بعد قيام النازية فى ألمانيا ، فهاجروا آحاداً وجماعات من ألمانيا إلى المجر وانتشروا فى العواصم والأقاليم ، وأصبحت بلاد المجر معروفة فى ذلك العهد باسم « فردوس إسرائيل » لأن زمام الثروة فيها تجمع بين أيدى اليهود الأصلاء واليهود المهاجرين .

فلما تفاقم الخطر وثار الشعب الجائع على المرابين والمستغلين ــ لم يكن فى وسع الهيئة التشريعية أن تصم آذانها عن هذا النذير العاجل ، قدمت إليها مشروعات متعددة لإنقاذ ضحايا الربا الفاحش والاستغلال ريع ، ونصت القوانين على تحديد حصة اليهود فى كل شركة أو كل

عمل مالى بستة فى المائة ، وذهب بعضها إلى تنظيم المصادرة على آجال متتابعة ، وصدر بعض هذه القوانين فعلا ، وظل بعضها الآخر معروضاً للبحث والمناقشة بين التأجيل والإهمال .

من هذه القوانين ما توقف عند الوصى على العرش فأسقطه بحق « الفيتو » أو حق التعطيل .

ومنها ما صدر من البرلمان ومن ديوان الوصى على العرش ، ولم ينفذ ولم يسمع له بعد ذلك خبر .

ومنها ما بقى فى لجان البرلمان يدرس ويعاد درسه ، ويؤجل ويعاد تأجيله ، إلى أن طواه النسيان .

فالصهيونية لا تهتم بالوصول فى كل حين إلى المجالس النيابية ، أو هى لا تهتم بها إذا أمكنها أن تسيطر على الحكومة بوسيلة من الوسائل . فأما إذا تعذر عليها أن تسيطر على الحكومة واحتاجت إلى صوت مرفوع فى المجالس النيابية لتأييد قضية من القضايا العزيزة عليها ، فهى لا تعيا إذن بالوسائل التى تمكنها من التأثير فى المجالس النيابية — ولو بعض التأثير — وأهم هذه الوسائل الدعاية العامة « أولا » ثم استغلال الأحزاب التى تحتاج إلى المال فى إبان الانتخابات ، وقل أن تستغنى خزائن الأحزاب عن المال الكثير فى إبان المعركة الانتخابية ، لأنها تنفق المال جهرة وخفية على الحملات الصحفية ، ومنشورات الدعاية ، وتأمينات المرشحين ، ولجان الدوائر وما إليها من الأعوان الحزبيين .

وقد تنبهت الأمم الديمقراطية إلى هذه المساومات الوبيلة، فأصدرت

التشريعات التى تحدد المقدار المسموح بإنفاقه فى الحملة الانتخابية ، أو التى تقضى بإعلان مصادر الأموال فى خزانة الحزب ، أو التى تشدد العقاب على إعطاء الرشوة وقبولها أثناء الترشيح ، ولكن هذه القوانين لا تنفذ إلا قليلا ، لأن الإدانة فيها تمس الغالب والمغلوب .

وفى إنجلترا – مثلا – يكفى أن يقدم المرشح سجارة إلى الناخب ليكون ذلك حجة للطعن فى انتخابه ، ولكن الناخبين أحرار فى الدعوة لمرشحهم ، فما لا يفعله المرشح يفعله الناخبون .

وقد اهتم الصهيونيون بالوصول إلى مجلس النواب الإنجليزى بعد الحرب العالمية الثانية ، لأنهم اعتقدوا أن قضية فلسطين تحتاج إلى صوت مسموع فى ذلك المجلس ، فوصل إليه نحو سبعين منهم ، كما جاء فى كلام البريجادير مكسون Brigadier Mackeson المثبت فى سجلات هنسارد Hansard الرسمية ، وهو عدد يزيد على عشرة أضعاف النسبة التى يقدرها لهم قانون الانتخاب .

ولم يكن هؤلاء السبعون جميعاً متدينين باليهودية علانية ، بل كان منهم ثمانية وعشرون يهوديا ثابتون على دينهم ، وكان سائرهم يهوداً متحولين إلى المسيحية لتلبيس المقاصد الصهيونية على جمهرة الناس .

قال دوجلاس ريد Douglas Reed فى كتابه « من الدخان إلى الخنق » .

« إن عدد النواب اليهود فى برلمان سنة ١٩٤٥ من العسير تقديره فيما يلوح لى . فإن الصحف اليهودية تقدرهم بثمانية وعشرين ، ولكنها

إذا أرادت بذلك عدد اليهود غير المعترفين بدينهم فالصورة بعيدة جداً من الصحة ، وقد حدث بعد المناقشة التى دارت بالمجلس فى اليوم الثانى عشر من شهر أغسطس سنة ١٩٤٧ عقب اقتناص اثنين من الجنود البريطانيين فى فلسطين ثم شنق الصهيونيين لهما أن النائب البريجادير مكسون وقف كما جاء فى سجل هنسارد فأشار إليهم قائلا : هنا نحو ستين أو سبعين عضواً محترماً من اليهود يؤيدون الصهيونية . »

ثم استطرد المؤلف إلى الكلام على الحملة العنيفة التى شنها الصهيونيون على بريطانيا ، لأنها لم تتوسع فى مطاردة العرب مرضاة لإسرائيل .

يحدث هذا فى إنجلترا ، أعرق البلاد البرلمانية ، فلا حاجة إلى الكلام عما يحدث فى غيرها من البلاد التى لم تتمكن فيها بعد تقاليد الانتخاب .

والواضح أن السياسة العالمية كلها قد تأثرت بهذه المناورات الصهيونية . فإن الدولة البريطانية علمت أنها هدف لحملات الدعاية الصهيونية فى العالم ، وأن الصهيونيين يهددونها بالعزلة فى الحرب العالمية التالية ، وقد كانت الدولة البريطانية تخشاهم خلال كل حرب عالمية : لعلمها بنفوذهم فى الولايات المتحدة ، وقدرتهم على توجيه الرأى العام هناك ــ واه بعض التوجيه ــ إلى اعتزال الحرب والوقوف على الحياد . . . وكانت ــ أى الدولة البريطانية ــ مطمئنة إلى كراهة اليهود لألمانيا ، وسعيهم إلى تأليب الدول عليها ، ولكنها لا تدرى كيف يكون الموقف خلال المنازعات الدولية التالية ، فقد تقف الصهيونية بأسرها فى وجه إنجلترا لتعزلها وتبذل جهدها فى إثارة الأمريكيين عليها ، وقد تقف إنجلترا يومئذ وحيدة فى الميدان

بتدبير المؤامرة الصهيونية ولهذا كانت تحتمل منهم فى فلسطين إهانات ولطمات لم تصبر على مثلها فى بلد آخر ، ولهذا اشتبك الدهاء البريطانى والدهاء الصهيونى فى صراع الجبابرة استعداداً للنزال فى المستقبل ، وما زال الدهاء البريطانى يحتال احتياله حتى أصبحت « بريطانيا العظمى » أقل الدول اليوم خوفاً من المؤامرات الصهيونية العالمية خلال الحرب المقبلة ، لأن الولايات المتحدة هى صاحبة الشأن الأول فيها ، فإذا حاربها الصهيونيون وانضموا إلى أعدائها هدموا بيتهم على رأسهم عامدين أو غير عامدين .

وما أكثر ما يقال عن دسائس الصهيونية فى المجالس النيابية لو اتسع المقال.

١١ ــ الصهيونيه العالمية

وطوابيرها الخامسة فى السياسة الشرقية

كان نابليون الكبير من الخبراء الحذاق بصناعة الحكم ، وكان على علم بديهى بأطوار الجماعات ومصادر النفوذ فى الرأى العام ، وكان من أجل هذا عظيم العناية بعوامل النفوذ الصهيونى فى البلاد الفرنسية وفى البلاد التى يتطلع إليها بنظره ، لأغراض سياسية أو عسكرية .

كان فى سنة ١٨٠٦ سيد القارة الأوربية غير مدافع ، هزم النمسا وبروسيا ، وتغلب على وليام بت فى ميدان العلاقات الدولية ، ولكنه فى تلك السنة كان يرفع يديه دهشاً ويسأل من حوله قائلا : « بأية معجزة أصبحت أقاليم كاملة من فرنسا مرتهنة لليهود ، وليس منهم فيها أكثر من ستين ألفاً ؟ »

لا جرم يفكر نابليون فى الصهيونية العالمية قبل حملته على المشرق ، ويساوم هذه الصهيونية على تبادل المنفعة من وراء تلك الحملة ، فهم يعودون إلى أرض الميعاد ويعيدون فيها دولتهم البائدة ، وهو يستفيد من أموالهم ودعايتهم فى تأييد تلك الحملة ومقاومة النفود السياسى ، أو المالى ، الذى يعترضها ويعوق حركاتها .

فى سنة ١٧٩٩ نشرت صحيفة جازيت ناسيونال Gazette Nationale الرسمية بياناً لنابليون يدعو فيه يهود آسيا وأفريقية أن يهرعوا إلى رايته ليدخلوا تحت ظلالها إلى أورشليم ، ويقول إنه قد جند منهم فرقاً تزحف على حلب .

وقبل هذا البيان بسنة واحدة نشر اليهود فى باريس دعوة للاجتماع بها ، والاتفاق مع الحكومة الفرنسية على رد الصهيونية إلى وطنها ، وذكروا أن ذلك الوطن يشمل الوجه البحرى من القطر المصرى ، مضافاً إليه إقليم يحده خط من عكا إلى البحر الميت ، وخط من جنوب البحر الميت إلى البحر الأحمر ، وأنهم باستيلائهم على هذه المملكة يسيطرون على تجارة الهند وبلاد العرب وأفريقية الشرقية وأفريقية الجنوبية ، وأن مجاورة هذه المملكة لحلب ودمشق تيسر لهم سبل التجارة مع البلاد الفارسية ، وتفتح لهم من طريق البحر الأبيض المتوسط أسواق أسبانيا وفرنسا وسائر أنحاء القارة الأوربية ، وتصبح هذه المملكة من مركزها فى وسط العالم مستودع المحاصيل العالمية فتمنح فرنسا — فى مقابلة المعونة على رد اليهود إلى وطنهم وحمايتهم فيه — جزاء مالياً وافياً ، وحصة كبيرة من التجارة وأرباحها .

وجاء فى الدعوة اليهودية أن المقترحات التى عرضت فى الوقت نفسه على الدولة العثمانية ستظل فى طى الكتمان ، وأن المعول فيها على حكمة المجلس المشرف على هذه الدعوة ، وعلى حسن النية من جانب الأمة الفرنسية .

هذه الدعوة نشرت بنصها فى كتاب سوكولوف Sokolow عن تاريخ الصهيونية من سنة ١٦٠٠ إلى سنة ١٩١٨ ، ونشر فيه كذلك بيان نابليون وبعض التعليقات التى تكشف القناع عن دخائل المناورة وحواشيها .

وواضح من خطة نابليون أنه لم يكن يريد المعونة العسكرية من الصهيونيين ، وأن الفرق المزعومة التى قال إنها تهدد مدينة « حلب » لم يكن

لها وجود ، وإنما أراد بها معونة الأيدى الخفية فى مراكز السياسة العليا ، كما أراد معونة المال إذا ضنت به خزانة الدولة .

هذا مثل من الأمثلة على أساليب الصهيونية فى علاقتها بالسياسة الشرقية ، وأخصها سياسة فلسطين والديار المصرية .

تستطلع الأسرار ، وتحس بوادر الخطط الخفية قبل تنفيذها ، وتحاول أن تساوم عليها ، فلا تعدم من يقبل هذه المساومة مخلصاً أو غير مخلص فى مقصده ، وتجعل المصلحة المتبادلة ضماناً بعد ذلك لدوام المنفعة بين الطرفين .

فقبل حملة نابليون بسنة كانت الصهيونية على علم بموعدها ، وكان سفراؤها فى باريس يساومون عليها ، ولا ينسون السفارة عند السلطان العثمانى ، متكتمين طبيعة تلك المساومة ، ولكنها ظاهرة من قرائنها ، ولا بد فيها من عنصر الرشوة وعنصر الحريم .

وبعد قرن على التقريب ، بدأت طلائع الحملة الإنجليزية ، وعملت فيها الصهيونية عملها الظاهر والخفى على نحو من هذه الأساليب .

كان الخديو إسماعيل يبحث عن القروض فلا يجد من يقرضه ، ويرى بين يديه أسهم قناة السويس وهى قريبة من نصف الأسهم ، فتلح عليه الحاجة العاجلة وتضطره إلى عرضها للبيع سراً ، لخوفه من مناورات الهبوط والصعود فى الأسواق المالية ، وخوفه قبل ذلك من مناورات السياسة الفرنسية والإنجليزية ، وهما تتناظران ولا تكفان عن النزاع فى شئون القضية المصرية .

وهنا تنبرى الصهيونية للعمل ويتدخل بيت روتشيلد بواسطة الدوق ديكاز Dicaze لتحذير البيوت الفرنسية من شراء الأسهم المعروضة عليها ، وتمكين بيكنسفيلد رئيس الوزارة البريطانية الإسرائيلى — من شراء الأسهم بالثمن المطلوب .

كيف تذلل هذه العقبة ؟

بل كيف تذلل هاتان العقبتان : عقبة السياسة الفرنسية ، وعقبة السياسة البريطانية ؟

هنا تفعل الصهيونية العالمية أفاعيلها التى يعجز عنها الساسة ، ولا تحيط بها المجالس النيابية .

فرنسا عدوة مناظرة لبريطانيا العظمى ، فكيف تترك لها هذه الغنيمة الشهية ؟

تتركها لأن بيت روتشيلد موزع بين باريس ولندن وبرلين ، ولأن بسمارك يهدد فرنسا بعد حرب السبعين ويعزلها فى سياسة القارة الأوربية ، فإذا تدخل بيت روتشيلد لإقناع فرنسا بإرضاء بريطانيا ، وللتقريب بين السياستين الفرنسية والبريطانية فى القارة الأوربية ، وللتعاون بين الدولتين معاً على مناهضة بسمارك أو مناهضة الدولة الألمانية الناشئة — فهى صفقة رابحة تأتى فى أوانها ، ويقوم بها سمسار قادر عليها ، لأنه يملك نفوذ المال فى باريس ولندن وبرلين . .

وربما سبق إلى الظن أن العقبة فى بريطانيا أهون من هذه العقبة ، لأنها تشترى وتستفيد ، ولا حاجة بها إلى إقناع للحصول على هذه الفائدة .

إلا أن الواقع أن عقبة بريطانيا كانت أصعب من عقبة فرنسا ، وأحوج منها إلى التدبير والتواطؤ مع الصهيونية العالمية .

أولا : لأن البرلمان كان فى إجازة .

ثانياً : لأن المحافظين كانوا يخشون معارضة الأحرار فى كل أمر يتعلق بالمسألة الشرقية .

وكان المبلغ اللازم أربعة ملايين جنيه ، وليس من السهل صرف هذا المبلغ ولا أقل منه بغير إذن البرلمان .

ولكن بيكنسفيلد صهيونى ، وروتشيلد صهيونى ، وصاحب المصرف مستعد للمجازفة بالمال فى جميع الأحوال ، فانحلت العقدة ، وزال الإشكال ، ولم يبال بيكنسفيلد أن يعلن بعد ذلك :

« أن الصفقة مالية وسياسية وأنها لازمة لتمكين الإمبراطورية » .

ودارت الأيام دورتها وجاءت الحرب العالمية الأولى وصدر وعد بلفور المشهور موجهاً إلى اللورد روتشيلد كأنه — وهو رعية بريطانية — نائب دولة أجنبية أخرى . . وتطايرت الإشاعات عن الباعث على وعد بلفور . فقيل إنه كان مكافأة على اختراع كيماوى للصهيونى « وايزمان » أفاد الحلفاء فى صناعة المتفجرات ، وما هذه الإشاعات عن الباعث المزعوم إلا تلفيقاً من الدعاية الصهيونية والدعاية البريطانية لا يثبت على المراجعة والتمحيص . . . فى الثانى والعشرين من شهر نوفمبر سنة ١٩١٥ نشرت صحيفة « المانشستر جارديان » مقالا صريحاً ربطت فيه بين انتصار الحلفاء وقيام الصهيونية فى أرض فلسطين ، وقبل ذلك كان فلاديمير

جابوتنسكى Jabotinsky فى القاهرة يؤلف فرقة النقل الصهيونى ، ويشكو من القائد سير مارك سايكس Sykes لأنه لا يؤيد الصهيونيين ، ولم يتأخر إعلان الوعد — وعد بلفور — إلا لمصلحة هؤلاء الصهيونيين ، إذ كانوا ينتظرون النصر الحاسم فى جانب الحلفاء قبل أن يجهروا بتأييدهم ، محافظة على حبل الاتصال بين الجانبين .

هذه هى أساليب الصهيونية العالمية فى السياسة الشرقية لا نظنها من تدبير هيئة مسيطرة قائمة فى جميع الأوقات ، ولكنها أسرار تعرف فى أوقاتها ، وفرص تغتنم من القادرين عليها ، ولا حاجة بالصهيونية العالمية إلى تدبير أثبت من هذا التدبير .

١٢ ـ الصهيونية العالمية

أساليبها فى العصر الحاضر (١)

تختلف أساليب الصهيونية بين عصر وعصر على حسب اختلاف الحوادث والأفكار والمناسبات واختلاف وسائل الإقناع والدعاية والتأثير . ولكنها فى جوهرها شيء واحد ، تتلخص فى استطلاع الأسرار والخفايا ، وتسخير سلطان المال لاستغلال الحركات الاجتماعية والعلاقات الشخصية بذوى النفوذ ، والاتجاه بها إلى الوجهة التى تحقق لها مصالحها وأغراضها .

وينبغى قبل البدء ببيان هذه الأساليب ، أن نعلم أنها بطبيعتها أساليب هدم ومقاومة ، وأساليب غش وتضليل ، ولا مناص لها من ذلك إلا إذا خرجت على طبيعتها وتخلت عن وجودها . لأنها لا تستطيع البناء والتعمير ، ولا تستطيع الأمانة والعمل الصريح .

إنما تستطيع الصهيونية البناء إذا استطاعت أن تقيم دعواها على عقيدة تنشرها وتدعو الأمم إلى الإيمان بها ، ولكنها إذا فعلت ذلك نقضت دعواها الأولى والأخيرة ، وهى احتكار الإله لنفسها ، والإيمان بأنه إله إسرائيل كما يدعونه فى الصلوات ، وليس للأمم الأخرى حظ من رضاه .

فالصهيونيون الذين يزعمون أن الله لهم وحدهم ، وأنهم شعب الله المختار ، دون غيرهم ، لن يقبلوا مشاركة أحدلهم فى هذا الاحتكار ، ولن تراهم قط مبشرين بدين يدعون الناس إلى الدخول فيه ، خلافاً لأصحاب الأديان أجمعين .

إنهم كأصحاب الميراث الذين لا يقبلون شريكاً فيه ، أو كأصحاب الشركة التى ينفردون بها ولا يوزعون على أحد سهماً من أرباحها . فليس فى استطاعتهم أن يقيموا سلطانهم على عقيدة عامة تشاركهم فيها الأمم ، وليس فى استطاعتهم أن يقنعوا الناس صراحة بقبول هذه الفكرة النابية ، وكل ما فى وسعهم أن يهدموا عقائد الناس وأخلاقهم ودعائم أفكارهم وشرائعهم ، ثم لا يخلفوها بعقيدة أخرى تقف لهم فى الطريق .

كذلك لا تستطيع الصهيونية العالمية أن تسود بغير الخداع والتضليل ، لأنها لا تعمل بسلطان القوة الظاهرة أو بسلطان الملك والسلاح ، وإنما تعمل بسلطان المطامع والمنافع والشهوات من وراء ستار . فلا بد لها على الحالين من أساليب الهدم وأساليب الخداع .

لهذا تبادر الصهيونية إلى استغلال نفوذها فى إثارة الفتن والقلاقل ، وتظفر الفتنة بتأييدها كلما توقعت منها الإمعان فى الهدم والفوضى ، لأنها لا تنجح فى عالم فيه إيمان بالخلق أو بالوطن أو بالدين ، وإنما تنظر إلى الأخلاق والأوطان والأديان كأنها حصون تحمى منها فرائسها وضحاياها ، ولا تطلق أيديها بالعمل كما تشاء حيث تشاء .

أما إذا أصبح المسلم غير مسلم ، وأصبح المسيحى غير مسيحى ، وأصبح الوطنى لا يبالى وطنه ، وأصبح الضمير الإنسانى ولا موضع فيه للحلال والحرام — فهى على الأقل فى ميدان لا موانع فيه ولا عقبات ، إن لم يكن فيه أعوان وأذناب .

وقد اشتركت الصهيونية فى كل حركة من حركات الهدم والتدمير ،

وآخر ما اشتركت فيه — ولا تزال مشتركة فيه — حركة الشيوعية فى العصر الحديث .

وربما كان الصهيونى من أصحاب الملايين ، ولكنه يحرص على نشر الشيوعية ويمولها بالمال والدعاية ، ويواليها بالدسائس والمؤمرات فى مجتمع السياسة الدولية .

ولا حاجة إلى أكثر من سرد الأسماء لإظهار الأيدى الخفية من وراء هذه الحركة فى إبانها ، وليست هذه الأيدى الخفية إلا أيدى الصهيونية العالمية فى كل مكان .

كان رئيس الدولية الشيوعية الأولى فى العالم كله زينوفييف ، واسمه الصهيونى أبفلبوم Apfelbaum ، وكان رئيس البوليس السياسى ياجودا أو يهودا وكان وزير الخارجية ليتفينوف واسمه الصهيونى فنكلشتين Finkelstein .

وكان أهم سفير فى الخارج مارسل روزنبرج ، لأنه كان يعمل فى أسبانيا لتوطيد الشيوعية بعد الجمهورية ، وكان تروتسكى وكانيف وتومسكى وريكوف وكاجانوفتش على رأس الدولة السوفيتية ، ولم يكن فيها من الزعماء الكبار غير لنين وستالين من الروس الذين لا يدينون باليهودية ، ولكن « لنين » كان نصف يهودى يسمى إيليانوفتش ، وستالين كان صهراً لكاجانوفتش الصهيونى . . . وهذا كل ما استطاعوه لإدخاله فى زمرة الصهيونيين .

ولقد أعلن جاكوب شيف Jacob Schiff الصهيونى صاحب

الملايين ، أنه أمد تروتسكى بالمال لإقامة الدولة الشيوعية ، وثبت أن صاحب الملايين « ماكس ووربورغ » فى ستوكهلم كان هو الواسطة القريبة لتزويد « تروتسكى » بالمال كلما احتاج إليه .

وإنها لضربة من ضربات القدر طاحت بهذه الدولة الصهيونية قبل استقرارها على قواعدها العلنية المعترف بها فى العالم كله ، فقد تغلب ستالين على تروتسكى ، وأحس الغدر من عصابة الصهيونيين فعجل بها قبل أن تعجل به ، وتمكن من الغلبة على منافسه فى مبدأ الأمر بمعونة فريق من العصابة ، لأنه كان — كما تقدم — زوجاً ليهودية وصهراً لكاجانوفتش « أبيه فى الحساب » كما يقولون .

أمصادفات هذه فى عرض الطريق ؟

كلا . لا يمكن أن تتفق المصادفات كل هذا الاتفاق ، ولا يمكن أن تسرى هذه المصادفات فى كل مكان ، فيتولى زعامة الشيوعية فى المجر « بيلا كوهين » ويتولاها فى النمسا فريتز أولر ، وأوشك أن يتولاها فى ألمانيا ليبكنخت وروزالكسمبرج ، لولم تعاجلها الأقدار بما خيب الآمال .

ومن المعلوم ، قبل هذا كله ، أن إمام الشيوعية الأول هو « كارل ماركس » اليهودى ، وأن منافسه فى ألمانيا ·لاسال من سلالة اليهود .

ولقد تأسست حكومة إسرائيل فى فلسطين وهم لا ييأسون من تسخير الشيوعية لتأييدها فى المجامع الدولية ، وتسخيرها من جهة أخرى لتخويف دول الغرب ، وتهديدها بالتحول إلى جانب الكتلة الشرقية ، إن لم تسعفها

بالمال والسلاح والمعونة الدولية . . . وكانت الكتلة الشرقية ترجو أن تبسط يديها على إسرائيل من وراء المهاجرين الشيوعيين ، فلم تلبث أن عرفت غلطتها ، وأدركت أن الصهيونى يحترف الشيوعية ، ويتسمى باسم المسيحية ، ويعلن الإلحاد جهراً ، أو يدين به سراً ، ولكنه صهيونى من الصهيونيين مهما تختلف الأسماء والآراء .

ولم تكن هزيمة تروتسكى وشيعته نهاية الحلف القديم بين كارل ماركس وأبناء ملته . فإن الصراع بين ستالين وتروتسكى لا يتكرر فى كل بلد على هذه الصورة ، وإذا تكرر فحسب الصهيونية كسباً أن تتهدم أركان الوطنية والدين ، وأن تنهار قواعد الأخلاق والآداب ، فتستريح من هذه العوائق فى طريقها ، وتتفتح الأبواب لسلطان المال والخداع بغير شريك ولا حسيب .

* * *

إن بعض المؤرخين قد هالهم هذا الامتزاج بين الشيوعية والصهيونية فاعتقدوا أن الصهيونية قد خلقت هذه الثورة خلقاً ، وصاغتها على يديها بمحض مشيئتها . بيد أنه غلو فى تقدير قوة الصهيونية لا نقرهم عليه . وأنها على تشعب مساعيها واتساع ميادينها لأهون شأناً من أن تخلق ثورة لم تخلقها أسبابها ولم تسبقها مقدماتها ، وإنما شأنها كله أن تستطلع الأسرار الخفية ، وأن تغتنم الفرصة السانحة ، وأن تتسلل من الثغرة المفتوحة ، وأن مثل الشيوعية لواحد من أمثلة كثير على أساليبها فى استغلال الحركات الاجتماعية ، والاتجاه بها إلى وجهتها فى العصر الحديث .

١٣ ــ الصهيونية العالمية

أساليبها فى العصر الحاضر (٢)

من أساليب الصهيونية العالمية استغلال الحركات الاجتماعية والاتجاه بها إلى الوجهة التى تريدها ، وأحب هذه الحركات إليها ما كان كفيلا بهدم القيم والأخلاق وتفكيك أوصال المجتمع وتلويث العرف الشائع بين أهله ، ولهذا ظفرت الحركة الشيوعية منها فى العصر الحاضر بكل تشجيع وترويج ، كما أسلفنا فى الفصل الماضى .

ومع استغلال الحركات الاجتماعية تعنى الصهيونية فى كل وقت باستغلال المراكز العالمية والعلاقات الشخصية بأصحاب النفوذ من حكومات العالم جميعاً ، وحكومات العالم الكبرى قبل سواها .

فما من رئيس ذى سلطان فى السياسة الدولية ، وفى سياسة قومه ــ يتركه الصهيونيون بغير رقابة منهم على القرب ، تحيط به وتنفذ إلى أسراره ونياته ، وتبذل له الخدمة التى يتعودها ، ويتوهم مع الزمن أنه لا يستغنى عنها ، فلا يزال معولا عليها فى كل عمل يفكر فيه أو يقدم عليه .

وقد لوحظ فى إبان المشكلات العالمية ــ وفى إبان الحروب خاصة ــ أن الحاشية التى تحيط بالعظماء من قبل الصهيونيين تحكم حلقاتها ، وتشدد رقابتها ، وتتطوع للقيام بالمهام التى تؤثر فى مجرى الأمور ، وقد تخلقها أحياناً لتقوم بها وتستجمع أزمة الأمور بين أيديها .

لوحظ ذلك فى الحرب العالمية الثانية ، ولوحظ قبل ذلك فى الحرب العالمية الأولى ، فأحاط الصهيونيون بويلسون ولويد جورج كما أحاطوا بروزفلت وتشرشل وعملوا جهرة وخفية كل عمل ينفع الصهيونية ويعجل بتنفيذ مآربها .

ما من رئيس ذى خطر إلا يحيط به صهيونيون وصهيونيات ، ولكل من الفريقين عمله وميدانه الذى يعمل فيه .

وهؤلاء الصهيونيون ذوو حرص ودهاء ، يخفون أنفسهم ما استطاعوا عن الأنظار والأسماع ، ولكنهم تغلبهم سكرة القوة أحياناً فيفخرون بها ويكشفون سرها ، أو لعلهم يفعلون ذلك متعمدين غير مغلوبين على أمرهم ، كلما احتاجوا إلى الإرهاب وفت الأعضاد وإيقاع اليأس فى نفوس الخصوم .

من ذلك أن وايزمان هدد بريطانيا العظمى قبل الحرب العالمية بإقامة القيامة عليها فى جنيف .

وتساءل المتسائلون : ما هى القوة التى يعتمد عليها وايزمان فى هذا التهديد ؟ ومن أين له السلطان الذى يمكنه من اللعب بجنيف وعصبة الأمم فيها ، ويتيح له أن يقيم القيامة هناك على من يشاء ؟

ومن ذلك أن مستر « باروخ » صديق روزفلت الحميم تحدث عن نفسه فى إنجلترا يوماً فقال « إنه أخطر رجل فى أمريكا » . . وتحدث إلى فكتور لاسكى مرة فقال . « إنه هنا فى إنجلترا يحمل العصا للأولاد الكبار لكيلا يفسدوا عليه مشروعات السلام » .

وأذاع مراسلو الصحف المتحدة هذا الحديث ، فبدأ للمستر باروخ بعد هذا أن يكف من نشره فكان له ما أراد .

وتساءل المتسائلون هنا أيضاً : من هو باروخ هذا ؟ وما هى العصا التى يخوف بها الأولاد الكبار ؟ ومن الذى خوله هذه السلطة التى يعامل بها أقطاب الدول كأنهم أولاد كبار ؟

وقد كان جاكوب شيف Jacob H. Schiff الصهيونى يتولى الرئاسة فى جماعة صهيونية تسمى بجماعة الأمم الحرة ، ويشاركه فيها خمسة من أصحاب المصارف اليهود ، وكان على اتصال دائم بكل رئيس ذى خطر فى الولايات المتحدة ، وأولهم الرئيس ويلسون صاحب الوصايا المشهورة . . . فما هو إلا أن علم أن الرئيس ويلسون يتردد فى إقرار مسائل التعويضات حتى أدركه برسالة برقية غيرت موقفه على الأثر من مسألة السار ومسألة سليزيا العليا ومسألة دانزيج وفيومى ، لأنها كلها من المسائل التى ترتبط بأموال التعويضات والمصانع العظمى ، وكلها بطبيعة الحال من المسائل التى ترتبط بمآرب الصهيونيين .

ونشرت التيمس أسماء المدعوين إلى القصر الأبيض لتكريم مستر أتلى Attlee فى سنة ١٩٤٥ فكان منهم القاضى فرانكفورتر عضو المحكمة العليا ، والشيوخ فوليت Follette وكونالى Conally ووارين أوستن Warren Austin وسول بلوم Sol Bloom وشارل إيتون Charles Eaton ووليام جرين William Green رئيس اتحاد العمال واريك جونسون Eric Johnson رئيس الغرفة

التجارية ومستر جون لويس (Lewis) رئيس عمال المناجم ، ومستر ايرا موشر Ira Mosher عضو اتحاد الصناعات ومستر برنارد باروخ Baruch ومستر هربرت سووب Swobe الصحفى والناشر ، ومستر اويجين ماير Egene Meyer من أصحاب واشنطن بوست ، ومستر جوزيف دافيز Joseph Davies السفير السابق عند الكرملين .

وما من عنصر أمريكى مثل فى تلك الوليمة الفخمة كما مثل فيها الصهيونيون .

ولقد نشرت هذه المعلومات جميعاً بين الصفحة المائتين والصفحة المائتين والعاشرة من كتاب مأساة العداوة السامية The Tragdy of Arti-Semitism وجاء بها مؤلفو الكتاب على سبيل التحدى للكاتب الصهيونى الذى تولى الدفاع عن أبناء قومه ، فلم يكن له من جواب سائغ على خبر من هذه الأخبار ، ولم يستطع أن ينقض الوقائع وأن غالط فى التفسير والتأويل .

وليس علينا أن نبحث طويلا للعثور على الأدلة القديمة أو الحديثة التى تثبت هذه الخطة الصهيونية أو هذا الأسلوب الصهيونى فى استغلال العلاقات الشخصية ، فإن كتب اليهود التى يتعبدون بها طافحة بأخبار الرجال والنساء الذين يجدون النعمة « أو اللائى يجدن النعمة فى أعين » الملوك والرؤساء ، ولا شك أن المستور أكثر وأغرب من المنشور والمشهور .

* * *

هذا أسلوب من الأساليب الصهيونية القديمة الحديثة ، التى عهدت

منهم قبل ثلاثة آلاف سنة ، وتعهد اليوم على نمط يوافق الزمن ومطالبه . فلا يتورع الصهيونيون عن استغلال العلاقات الشخصية والانتفاع بنفوذ الرؤساء وأصحاب السطوة والجاه كلما احتاجوا إلى استغلالها ، ولا يختلف بين أمس واليوم إلا نوع الخدمة ونوع الوظيفة ونوع المهمة السياسية، وإنما الأسلوب الحديث هو الأسلوب القديم سواء عمل فيه الصحفى ورئيس الشركة وعضو المجلس النيابى ، أو عمل فيه الكاهن والصراف ومندوب الجالية المختار ! !

وفى كل حالة من هذه الحالات يضطر الصهيونى إلى الغش والإفساد، لأنه لا يقدر على الصراحة والاستقامة . إذ لا سبيل إلى الصراحة والاستقامة إلا إذا قام العمل على الإقناع والمساواة ، وما من أحد يمكن أن يقتنع بتسخير الله لعباده أجمعين فى خدمة الصهيونيين ، وما من مساواة بين الناس عند إله يسمونه « رب إسرائيل » ويعادى الأمم جميعاً حباً لأمة واحدة هى أمة صهيون !

وهكذا فرضت طبيعة الصهيونية على قومها أن يعملوا للهدم والخداع سواء عملوا فى استغلال الحركات الاجتماعية ، أو عملوا فى استغلال العلاقات بذوى الجاه والرئاسة .

١٤ ـ الصهيونية العالمية

أساليبها فى العصر الحاضر (٣)

كل جهود الصهيونية العالمية فى الوقت الحاضر تنحصر فى غاية واحدة ، وهى إنقاذ « إسرائيل » من قضائها الذى تخشاه .

ولا سبيل إلى ذلك فى تقدير الصهيونية ــ وفى الواقع الذى يراه غيرها كما تراه ــ إلا بوسيلتين :

أولاهما الصلح مع العرب .

والأخرى استبقاء نفوذها فى البلاد الأمريكية .

فالواقع أن إسرائيل هالكة لا محالة إذا استمرت مقاطعة العرب لها « سياسياً واقتصادياً » بضع سنوات أخرى .

ولهذا يتعمدون خلق المشكلات بين إسرائيل والبلاد العربية ، عسى أن يؤدى البحث فى المشكلات إلى البحث فى الصلح ، وعسى أن يؤدى البحث فى الصلح إلى فك الحصار السياسى والاقتصادى عن الدويلة القائمة على غير أساس .

وقد تحدث رؤساء العصابة التى تسمى نفسها حكومة إسرائيل عن مشكلات الحدود الفلسطينية ، فقالوا : إنها عمل من أعمال القصاص ، وإن إسرائيل لا تلجأ إليها باختيارها ، وإنا نضطر إليها اضطراراً لكف العدوان على حدودها .

لكن الصهيونيين أنفسهم يكذبون هذه الدعوى ، ويصرحون بما ينقضها فى كلامهم الذى ينشرونه بين الأمريكيين ، ويعلنون أن خلق هذه المشكلات على الحدود إنما هو خطة مدبرة لإكراه العرب على الصلح ، وإنقاذ إسرائيل من الخطر المحتوم الذى تهددها به المقاطعة .

نشر أحدهم موشى برليانت Moshe Brilliant فى عدد شهر مارس ١٩٥٤ من مجلة هاربر Harper's Magazine مقالا بعنوان « سياسة القصاص الإسرائيلية » كتب له على رأس المقال خلاصة قال فيها : « إن حوادث الحدود الدموية قلما تكون عرضية . . . وإنما هى من بعض جوانبها قصاص وأخذ بالثأر ، ومن الجانب الآخر خطة مدبرة لسوق العرب كرهاً إلى مائدة الصلح ، ومن الناس من يصفها بالواقعية ، ومنهم من يصفها بالخبث ، ولكنها تؤذن بأن تنجح وتفيد » .

ومضى موشى برليانت يقول : «إن هذه الخطة جلبت على الحكومة اليهودية لوم مجلس الأمن فى هيئة الأمم المتحدة ، وجرت عليها تأنيب لجنة المدنة المشتركة فى الشرق الأوسط ، وبعض التقريعات الدبلوماسية من واشنطون ولندن وباريس ، بل أوشكت أن تحول عن الدولة اليهودية عطف أبناء دينها فى الولايات المتحدة ، فقل الإقبال على تلبية النداء الموجه إليهم بطلب الإعانة من جماعة اليهود المتحدة ، ولوحظت هذه القلة على الدوام عقب حوادث القصاص على الحدود » .

وراح الكاتب يعدد المواقف التى أفادت فيها هذه الخطة المدبرة ، فذكر منها الموقف الأول وهو إكراه العرب على وقف القتال ، وذكر منها

الموقف الثانى وهو إكراههم على عقد الهدنة ، وقال : إن هذه الخطة بعينها ستكرههم على الموقف الأخير وهو قبول الصلح مرغمين ، ولم يبال هذا الكاتب الصفيق أن يقول : إن إسرائيل كانت تختلق المعاذير والتعلات لقتل من تقتلهم باسم الثأر على سنة العين بالعين ، ولكنه استطرد قائلا : «إنه أمام هذه السوابق تولد فى إسرائيل شعور بأن الوسيلة الوحيدة لسوق العرب كرها إلى مائدة الصلح إنما هو العلم بأن حالة الهدنة ضارة بهم غير موافقة لمصلحتهم . وهذا ضرب من التفكير يخالف مزاج الأكثرين من الأمريكيين ، ولكنه منطق من الصعب مقاومته ، فضلا عن تعزيزه بمجرى الحوادث منذ سنة ١٩٤٩ » .

فهؤلاء الناس لا يخجلون من المناداة بتدبير الإجرام وانتحال أسباب القتل والعدوان لتنفيذ خطة مرسومة بالدم البارد كما يقولون ، لإكراه العرب على مصالحتهم واضطرارهم إلى قبول استغلالهم وتسخيرهم لمطامعهم ، ويحسبون أن الرأى العام الذى يخاطبونه بهذه الصراحة لا يؤاخذهم على إجرامهم وعدوانهم ، لأنه يريد لهم النجاح بكل وسيلة مستطاعة ، ولا يبالى ما يصيب العرب إذا كان فى هذا المصاب تحقيق مطامع إسرائيل .

إن هذه الصراحة فى الاعتراف بالإجرام لدليل على كثير ، وأدل ما تدل عليه أنهم يعتقدون أن اللائمين لهم إنما يلومونهم على سوء السياسة ، وعلى التورط فى الأخطاء التى تعزى إلى الرعونة وقصر النظر . فأما إذا كان العدوان تدبيراً محكماً فلا لوم عليهم فى التصريح به علانية ، ولا ضير فى اتخاذ كل وسيلة لإكراه العرب على الإذعان لإسرائيل .

على أن الشواهد المتوالية تخيب ظن الصهيونيين فى هذا التقدير . لأن هؤلاء الصهيونيين قد جاوزوا الحد فى الاعتماد على عطف المؤيدين وغفلة الغافلين ، وقد بدأت بوادر السآمة بين الأكثرين فى الغرب من هذه اللجاجة التى لا تعرف الحياء ، وضاق الناس ذرعاً بما تكلفهم عصابة إسرائيل من ثمن ثقيل لا يؤدونه اليوم حتى تعود فتكلفهم بثمن جديد ، ومن هؤلاء الذين ضاقوا ذرعاً بمشكلات العصابة الصهيونية أناس من اليهود أنفسهم ، كما قال موشى برليانت فى المقال الذى أشرنا إليه .

ولقد أخذ الكثيرون من الأمريكيين يحسون أنهم يحتملون من أجل إسرائيل فوق الطاقة على غير جدوى وإلى غير نهاية .

وقد ظهر هذا الإحساس فى مواطن كثيرة ، وأشفق الصهيونيون من عقباه فهداهم ذلك الطبع الأعوج الذى فطروا عليه إلى الخطة التى جربوها مع الإنجليز بفلسطين ، واعتقدوا أنها صالحة للتنفيذ فى كل موضع وفى كل آونة ، وهى خطة الإرهاب والتهديد .

غرهم أنهم قتلوا « برنادوت » رسول الأمم المتحدة ولم يصبهم شىء من جراء قتله ، فأنشأوا فى البلاد الأمريكية جماعة إرهابية من قبيل الجماعات التى اشتهرت بفلسطين ، وكأنهم يئسوا من دوام نفوذهم القديم بغير الإرهاب ، فاستعدوا بالإرهاب لطوارئ الزمن وتقلب الأحداث ، وخيل إليهم أن استبقاء نفوذهم فى البلاد الأمريكية ضرورة لا غنى عنها بكل ثمن وبكل حيلة ، لأنها مسألة الحياة والموت فى هذه المرحلة من حياة الصهيونية العالمية ، فهم يستميتون فى سبيلها ، وينسون أن الاستماتة قد تميت .

إن اليهود فى الولايات المتحدة يبلغون خمسة ملايين ، نحسب منهم من تتوسط بهم السن فوق الخامسة عشرة ودون الأربعين فنكاد نقول إنهم كلهم مشتركون فى منظمة الإرهاب ، لأن أعضاءها يعدون بمئات الألوف ، وربما كان المساعدون على الإرهاب أكثر من العاملين به ، بل ربما كان اليهود المخالفون لخطة الإرهاب عرضة للتهديد والانتقام قبل غيرهم من المخالفين . فلا مبالغة فى القول بأن « الإرهاب » هناك خطة خمسة ملايين ، وليس بالخطة المقصورة على عشرات الألوف أو مئات الألوف .

إن هؤلاء الإرهابيين يكتفون اليوم بالتهديد الاقتصادى ، وتهديد حملات التشهير والدعاية والفضائح الاجتماعية ، وقد يضغطون بالرؤساء على المرءوسين الذين يعارضونهم ولا يتواطئون معهم على مساعيهم ودسائسهم طواعية بغير مقاومة ، ولكنهم — أى هؤلاء الإرهابيين — سيندفعون ويتهجمون كلما اشتدت المقاومة واشتد الخطر على نفوذ الصهيونية ، وسيندفعون ويتهجمون كلما اغتروا بالقوة وأمعنوا فى هذه الصناعة التى تشبه رذيلة الإدمان فى الإغراء بالمزيد ، كلما استحكمت العادة ومردت عليها النفس المنكوبة بشرها . وفى تاريخ الإرهاب من عهد شيخ الجبل — أو عهد حسن بن الصباح — أمثلة على البداية والنهاية فى هذا الطريق ، فقد بلغ الخطر أشده حين أحس به الجميع ، فلما أحس به الجميع قضى عليه وجنى على نفسه كما جنى على ضحاياه .

حياة الصهيونية العالمية فى الصلح مع العرب ، وفى استبقاء نفوذها بالبلاد الأمريكية ، وكل جهودها فى العصر الحديث ضائعة إن لم تحقق هاتين الغايتين » .

١٥ – عصبية الصهيونية

فى ميدان الثقافة والسياسة

عصبة الصهيونية الحمقاء داء قديم متأصل فى نفوس القوم لا يسلم منه كبير فيهم ولا صغير ، ولا تخفى شواهده عمن تنزه عن الغرض ، سواء نظر إلى تاريخهم القديم أو تاريخهم الحديث .

وقد أشرنا فى هذه الفصول إلى هذا الداء الوبيل ، وأتينا على بعض شواهده .

ونشير هنا إلى بعض آثار هذه العصبية وتبشيرها بالدعوات والحركات المضللة فى ميادين الثقافة والعلم والسياسة ، فتمضى أكاذيبها بين الكثيرين من المستنيرين وكأنها حقائق لا تقبل الشك ، أو آراء جديرة أن تقابل بالجد والاهتمام .

وإنهم ليستعدون لترويجها والدعوة لها بمن يجندون من صفوفهم أو من حملة الأقلام المأجورة لخدمتهم ، ويظهر منها ما يظهر ، ويختفى ما يختفى ، مقدراً على حسب الأجواء المهيأة له ، وكل ذلك يجرى فى غفلة عن بواعثه الخفية والدسائس اليهودية .

وما أشد ما تتردد الدعايات الحماسية المحمومة فى الكتب والصحف والمعارض ودور الصور المتحركة لما يبتدعون أو يبتدع غيرهم من المدارس والمذاهب الأدبية والفنية العلمية والفلسفية التى تتجه إلى الهدم خدمة

للصهيونية ، كما تتردد هذه الدعايات المجموعة من أجل هذا الغرض لتعلى سأن البارزين والبارزات من اليهود حتى تطغى شهرتهم على من هم أولى منهم بالتقدير والشهرة ، أو لتغض من أقدار النابغين من غيرهم دون جناية لأحد من هؤلاء المظلومين إلا أنه ليس من اليهود ولا صنائعهم وأوليائهم ، أو ممن قال فيهم يوماً كلمة حق تغضبهم ، فاستحق من أهلها المقت واللعنة من رضوانهم ورضوان أذنابهم في كل ميدان .

وأمامنا الحركات الفكرية والاجتماعية والسياسية فى الغرب ، وأصداؤها هنا وهناك ، فإن دراستها على حقيقتها دون عناوينها تدل على عبث الصهيونية بأقدس القيم ، وتسخيرها كل حركة — ما استطاعت — لإفساد العقول والأخلاق .

وقد كان من رأينا أن مثل هذه الحركات ينبغى أن تفهم مع فهم بواعثها فى نفوس أصحابها والقائمين بها ، وأنه لا سبيل إلى فهمها بغير ذلك .

وهكذا ينبغى أن تفهم الحركات الحديثة فى الغرب ، وتفهم معها العوامل الصهيونية التى تحركها سراً وعلانية ، ليتبين ما فيها من حق وباطل ، تنكشف بواعثها وأغراضها الحميدة والذميمة .

وقد قلنا منذ سنوات فى مقال عن الوجودية : « لن تفهم المدارس الحديثة فى أوربة ما لم تفهم هذه الحقيقة التى لا شك فيها وهى أن إصبعاً من الأصابع اليهودية كامنة وراء كل دعوة تستخف بالقيم الأخلاقية ، وترمى إلى هدم القواعد التى يقوم عليها مجتمع الإنسان فى جميع الأزمان . فاليهودى كارل ماركس وراء الشيوعية التى تهدم قواعد الأخلاق والأديان.

واليهودى دركيم وراء علم الاجتماع الذى يلحق نظام الأسرة بالأوضاع المصطنعة ويحاول أن يبطل آثارها فى تطور الفضائل والآداب، واليهودى — أو نصف اليهودى — سارتر وراء الوجودية التى نشأت معززة لكرامة الفرد فجنح بها إلى حيوانية تصيب الفرد والجماعة بآفات السقوط والانحلال .

ومن الخير أن تدرس المذاهب الفكرية بل الأزياء الفكرية كلما شاع فى أوربة مذهب جديد . ولكن من الشر أن تدرس بعناوينها وظواهرها دون ما وراءها من عوامل المصادفة العارضة والتدبير المقصود . »

وهناك أمثلة على هذه العصبية من نوع آخر ، تعزز كل ما قدمنا ، وتؤكد لنا أن هذا الداء العياء لم يسلم منه أحد بينهم حتى العلماء « المستقلين » .

من ذلك فرويد صاحب المذهب المشهور فى الطب النفسانى ، وإن كان ليقال فيه ما قلنا عن ماركس ودركايم وسارتر ، إنه كان من وراء علم النفس الذى يرجع كل الميول والآداب الدينية والخلقية والفنية والصوفية والأسرية إلى الغريزة الجنسية ، ويحاول أن ينسخ قداستها ويخجل الإنسان منها ، ويسلبه الإيمان بسموها وسمو مصدرها حين يردها إلى أدنى ما يرى هو فى نفسه ، وبهذا تتمزق صلاته بأسرته ومجتمعه والكون وما وراءه .

ويبدو فرويد « مستقلا » بعلمه عن « يهوديته » ولكنه كان فى الحقيقة لا يطمئن إلى أحد فى عمله إلا أن يكون من « اليهود » ، ولا يثق بعمل مساعد له من غير ملته فى المستشفى والمعمل ومعهد التطبيب .

وكان من المولعين بالعقد النفسية ، وكنا ولا نزال نرى أن الولع بهذه العقد قد يكون إحدى العقد النفسية ، وأن المكثرين من الحديث عنها قلما يسلمون من مركبات النقص وما إليها ، وكذلك عاش فرويد .

وكان الدكتور إرنست جونس أكبر تلاميذه الأحياء قد أصدر الجزء الثانى من ترجمة أستاذه ، وجاء فيه بشواهد كثيرة تعزز هذه الملاحظة ، ولم يقصد بروايتها غير تقرير الحقائق ، لأنه من المعجبين بالأستاذ إعجاب التقدير والوفاء . من تلك الشواهد الكثيرة أن فرويد كان يتبع أوراقه فيحرقها قبل أن يتمكن أحد من الاطلاع عليها .

ومنها أنه كان إذا نوى السفر ذهب إلى المحطة قبل وصول القطار بنحو ساعة .

ومنها أنه كان شديد القلق يعمد على الدوام إلى تهدئة أعصابه بالإفراط فى تدخين التبغ اللاذع ، وتعزى إلى ذلك إصابته بالسرطان فى فمه .

ومنها أنه كان يحيط نفسه بأعوان من اليهود ، ويندر أن يعمل مع أحد من غير دينه .

وترد الصحف الغربية بأنباء الاحتفال بمرور مائة سنة على مولد فرويد فنرى أعجوبة من أعاجيب التذكار لهذه المناسبة ، لأن العرف قد جرى على الإشادة بمآثر المحتفى به من أمثال هذه الذكريات ، ولكن الأطباء النفسانيين الذين اجتمعوا لإحياء ذكرى فرويد فى مدينة شيكاغو — وعدتهم نحو أربعة آلاف — قد فوجئوا بحملة عنيفة على فرويد ومذهبه يتولاها رجل مسئول فى مركزه العلمى والرسمى ، وهو الدكتور برسفال بيلى

Bailey مدير معهد النفسانيات بولاية النواز ، وخلاصة حملته أن البقية الباقية من طب فرويد قليلة لا يؤبه لها ، وأن آراءه لاتضيف شيئاً إلى القيم الإنسانية ، لأنه يرتد بالإنسان إلى الباطن ، ويهمل جانبه المنطقى الشاعر ، وأنه لم يكن يفهم المرأة ، ولم يكن يتذوق الموسيقى ، ولا يحس جلال العقيدة .

وإنه لمن العجب أن يكون الدكتور إرنست جونس تلميذه الوحيد من غير اليهود ثم ينساق فى تقديره مع الوعظ التبشيرى باسم العلم والثقافة .

ونحسب أن فرويد لم يعمل عبثاً إذا كان العالم قد استطاع بعد أقل من عشرين سنة من وفاته أن يضعه على المشرحة التى كان يضع عليها مرضاه . ويذكرنى هذا بقصة التلميذ اليونانى القديم وأستاذه فى علم الجدل والسفسطة ، فإن التلميذ أنكر حق الأستاذ فى الأجر المتفق عليه بعد انتهاء الدروس التى حضرها عليه ، وقال له إنه سيناقشه فى هذا الحق فإن أقنعه بأنه لايستحقه فلا أجر له عنده ، وإن لم يقنعه فلا أجر له عنده كذلك ، لأنه لم يعلمه كيف يقيم البرهان على دعواه .

قال الأستاذ : بل أستحق الأجر مرتين لأنى علمتك أن تغلب أستاذك ؛

وعلى هذا النحو يستطيع فرويد أن يهدأ فى قبره ، لأنه علم الناس كيف يضعونه على المشرحة ليطبقوا مذهبه عليه .

ومثل آخر هو ألبرت أينشتين صاحب نظرية النسبية ، وأكبر ما فى « يهوديته » أن الكثيرين يحسبونه «مستقلا» منقطع الصلة بها لأنه يعيش

أيامه كلها على اتصال بمعاهد العلم والعلماء .

ولكنه كان ينادى بالعصبية الصهيونية حين لا يضطره أحد إلى هذا النداء .

وقد نشرت بعد وفاته مجموعة من الرسائل والخطب فى طبعة جديدة ، وقيل إنه أقر أختيارها وتنسيقها فى هذا الكتاب .

ويجهر أينشتين فى جملة من هذه الرسائل « بعصبية الصهيونية » ويؤمن بإسرائيل كأنها عالم البعث للحياة اليهودية ، وليست مجرد وطن أو « مأوى» للمضطهدين من المهاجرين .

ويعتقد العالم «المستقل » برابطة الوحدة التى لا تنفصم بين الصهيونيين ثم يزعم أن موقف العالم من اليهود هو الذى يربط بينهم بهذا الرباط الوثيق ، ولا يذكر أن موقف اليهود من « الجوييم » سابق لكل موقف من مواقف الأمم الأخرى فى المشرق والمغرب نحو هذه السلالة التى تعزل نفسها ولا تكتم عزلتها وانفصالها بين الأمم بالنسب والعقيدة والمصلحة والسيادة الموعودة على أبناء آدم وحواء .

فهو يقلب الحقائق رأساً على عقب ليسوغ « العصبية اليهودية » ويلقى تبعتها على «الجوييم » وما كان للجوييم هؤلاء من وجود فى غير شعائر اليهود ، ونصوص الترجوم والتلمود .

ومثل آخر من علمائهم ولكنه من طراز عجيب هو العالم الطبيب ماكس نورداو الذى ترى من نظرة واحدة إلى معارف وجهه ولمحات عينيه ذلك الحبر العبرى القويم الذى لم تغير من قسماته ولا خصاله مئات السنين

التى قضاها أسلافه بين ربوع أوربة ، وقد شغف طول حياته بالهدم أشد من شغفه بالبناء .

ومن أعاجيب نوردو أن كاد يقسم الأخلاق إلى إسرائيلية وغير إسرائيلية ، وأنه كان شديد الغيرة للدعوة الصهيونية ، حريصاً على التبشير بها مع تطرفه فى الإلحاد ، كأنه كان يستخرج من إلحاده فخراً صهيونياً ، فإن نهاية الإلحاد أن ينفى كل ما وراء المادة ، وفى ذلك شاهد على جودة الطبع اليهودى عنده لأنه سبق إلى هذه النهاية ، إذ لم تنظر الديانة الموسوية فيما وراء المادة مطمعاً للإنسان . وكان طول حياته يبشر بدين المنفعة ، ونسميه ديناً على عمد لأنه فى الحقيقة دين يذب عنه بكل ما يكون للدين هكذا من الغيرة وإصرار العقيدة . فهو يؤمن بدين المنفعة ولا يعرف للأشياء غاية تعدوها ، ولا يثنى على خلق إلا إذا استطاع أن يبين نفعاً ظاهراً له فى هذه الأشياء المحسوسة .

بل لو رجعنا إلى مواهب نوردو وعادات تفكيره لوجدنا أبرزها عادة ملكت نفسه وغلبت على هواه أيما غلب ، وهى فيما نرى مفتاحه الذى نستعين به على تقدير أحكامه ومعرفة اتجاهاته ، وهذه العادة هى « الإسرائيلية » التى يكاد لا ينساها فى جميع آرائه ، ولا يعدو أن يكون مدافعاً عنها فى كل مبحث من مباحثه ولو بعدت الشقة بينه وبين الإسرائيلية والإسرائيليين .

فإذا رجعت إلى الصفات التى يثنى عليها وينوه برجحانها ويتخذها مثلا للفطرة السليمة وعنواناً على الصلاح فى الحياة وجدتها هى صفات اليهود التى

تفوقوا فيها على غيرهم أو اشتهروا بها بين الأمم ، وعلى نقيض ذلك نرى الصفات التى عرف اليهود بالتخلف فيها أو التجرد منها عرضة لتهكمه وتهجينه ، أومعدودة عنده فى المراتب المرجوحة التى لا تميز أمة على أخرى، ولا تتفاضل بها معادن الرجال ، وكثيراً ما يحسبها من الصفات الكمالية أو الهمجية الصائرة إلى الضعف مع تقدم المدنية ، وتارة أخرى يتجاهلها فى نقده أو يعتدها عرضاً من أعراض النكسة والاضمحلال . وربما بدر ذلك منه عفواً فى بعض الأحيان ، ولكنى لا أظن إلا أنه قد كان يقصده أحياناً ويتحراه ويترفق فى دفع شبهته عن قلمه ، وكأنما شك الرجل فى اليهودية بفكره وبقى على اعتقادها بوجدانه ، فرجع عن قولهم إن اليهود شعب الله المختار ، ليقول إنهم هم شعب الطبيعة المختار .

وخلاصة ما اعتمده نوردو من الرأى فى الفصل بين الأخلاق والآداب هو قسمتها إلى ذينك الشطرين فما كان منها من صفات قومه فهو الصالح المطلوب ، وما لم يكن من صفاتهم أو كان نصيبهم منه قليلا أو ملتبساً فذلك هو النافلة الذى لا غناء به ولا معول فى الحياة عليه ، وهو لم يكن يدفع عن قومه فحسب بإعلاء دين المنفعة ، بل كان يدفع عن نفسه كذلك ، فقد كان كما قدمنا يدين بدين المنفعة دون غيره .

فهو — من حيث أراد ومن حيث لم يرد — صهيونى غارق فى الصهيونية ، متعصب لها أشد التعصب بمزاجه وأخلاقه ومولده (إذ هو ابن كاهن) وبأحوال عصره ، فلما ظهرت الحركة الصهيونية كان من أعوانها الكبار وأعوانها المعدودين ، فشن الغارة على الكنيسة الكاثوليكية ، واتهمها

بالتحريض على ذبح اليهود فى فرنسا ، وظل إلى آخر أيامه غيوراً على نشر الدعوة الصهيونية لا ينى كاتباً أو خاطباً فى تأييدها وشد أزرها ، فلما صرح اللورد بلفور تصريحه المعروف شخص هو إلى لندن لمفاوضة الحكومة الإنجليزية فى تفاصيل إنشاء الوطن اليهودى بفلسطين ، وهناك قال قولة تروى عنه وهى أن الإنجليز لا يساعدون اليهود حباً فى سواد عيونهم ولكن طمعاً فى الدفاع عن قناة السويس ، وأنه على هذه القاعدة من تبادل النفع يجب أن يبنى الاتفاق بين شعب إسرائيل والحكومة الإنجليزية .

وهذه الكلمة مفتاح كل كتب نوردو ، وخلاصة جميع آرائه فيها ، لأنه لم يكن يؤمن بغاية للفرد والنوع غير النفع المادى المحسوس فى هذه الدنيا وهو فى هذا يجرى على آسال أسلافه وعشيرته . ولما نشبت الحرب العالمية الأولى وطرد من فرنسا رحل إلى أمريكا لخدمة الدعوة الصهيونية بمقالاته وخطبه ومحاضراته .

وقد يستغرب من العلماء الماديين أن يلقوا بأنفسهم فى غمار الحركات الدينية ويتشيعوا لها أشد التشيع كما كان يفعل نوردو ، ولكن هذا الذى يستغرب من سائر العلماء لا يجوز أن يستغرب من عالم إسرائيلى لما هو معلوم من أن اليهودية وطن للإسرائيليين وجامعة نفعية لا دين ولا نحلة فحسب ، ومن أجل هذا ولأسباب أخرى صار نضال الرجل منهم عن نحلته صورة أخرى من نضاله عن نفسه ومصلحته وكرامة شخصه ، ولهذا لا نرى غرابة ما فى تصدى طائفة من العلماء كلهم ملحدون لقيادة الدعوة الصهيونية .

وينبغى ألا تنسى هنا الحملة الشعواء التى شنها نوردو فى كتابه « الاضمحلال » أو « الانحطاط » على النابهين من أدباء عصره وغيرهم ممن وقع فى طريقه ، فقضى عليهم جميعاً بالمسخ والخداج وانتكاس الأذواق والعقول ، وأضرم ناراً من النقد الجائر كنيران محكمة التفتيش فجعل يلقى فيها ما يلقى من كتبهم ودواوينهم باسم العلم فى هذه المرة لا باسم الدين .

وقد أنحى فيه على طائفة كبيرة من أعلام المفكرين وفحول الشعراء والأدباء الذين اشتهر ذكرهم فى عصره والعصر الذى قبله وقسم أدباءه أو قل مرضاه — إلى طبقتين : طبقة عالية تخفى فيها أغراض المسخ بعض الخفاء وأخرى واطئة لا تمتاز فى شىء عن سائر المعتوهين والأمساخ ، واستخرج من معانى أشعارهم ومضامين سطورهم دلائله التى خالها أعراضاً شاهدة عليهم جميعاً بالمسخ وفسولة الطبع ، فمنهم — فيما زعم — مجانين الأنانية ، ومنهم أسرى الشهوات والمصابون بالاضطرابات المخية والنخاعية ، ومنهم البله والسوداويون ، والمعذبون بالصرع والوسواس ، والمتهوسون فى الدين أو العصبية ، والمتقشفون الموكلون بتعذيب أنفسهم وتنغيص لذاتهم ، والناشزون على العرف والآداب ، وكثير من أمثال هذه الآراء التى أرسلها فى صفحاته بسخاء من ذلك القلم المنغمس فى كتابة التفسرات وأوراق الأدوية ! !

وقد تتلخص كل أعراضه فى ظاهرتين اثنتين : هما العجز عن حصر الذهن وسوء نقل الحواس والأعصاب عن مؤثرات البيئة أو عدم الإحساس بالأشياء على حقيقتها .

ولتعليل إعجاب قراء العصر بأولئك الأدباء والمفكرين رمى نوردو الطبقات القارئة كلها وبعضاً من الطبقات الأخرى بالضعف واختبال الحس ثم مضى يعلل لهذه الأوهام ليدين عصره كله بالخلل والفساد .

وحملة أخرى شنها نوردو فى كتابه « الأكاذيب المقررة فى المدنية الحاضرة » ، ولكن حملته هنا على المجتمع لاعلى الأدباء ، وقد فضح كل ما ظهر له من أكاذيب الحضارة الأوربية ، وسمى ما لم يرقه بالأكاذيب ، ومما سماه أكذوبة الدين وأكذوبة الحكم المطلق وأكذوبة الزواج والأكذوبة السياسية والأكذوبة الاقتصادية وما إلى ذلك ، وهو فى نقده لما سماه الأكاذيب متقحم متسرع ، وقد أملى له فى تهجمه فوق ما قدمنا يقين الشباب وإقبال التفاؤل ولولا هذا اليقين وجرأة فى نوردو صحبته طول حياته لكان الأولى به أن يسمى « الحقائق فى سبيل التطبيق » بدلا من « الأكاذيب المقررة » لأن كثيراً من الأكاذيب التى أوردها إنما هى حقائق يخالطها الزغل عند التجربة — كالديمقراطية مثلا — وأين هى الحقائق الاجتماعية التى تتركها التجربة على صفائها ؟ أليس من الحقائق الرياضية — وناهيك بدقتها — ما يختلف بين الأوراق والأعمال ؟ ؟

وإذا كان هذا مبلغ العصبية الصهيونية عند العلماء المستقلين حتى الملحدين وانغماسهم فى غمراتها إلى هذا القرار فكيف بمن ليسوا علماء ولا مستقلين ولا سيما المتدينين ؟ وإذا كان هذا مبلغ الغلو فى العصبية عند من ينبغى لهم سترها أو الاعتدال فيها وهم قادرون عليه ولا ضرورة تمنعهم دونه — فكيف بالمجاهرين المؤمنين الذين لا ينتظر منهم ستر ولا اعتدال

ولا قدرة لهم عليه ولا مفر لهم منه .

ونختم حديثنا عن عبث الصهيونيين بالمذاهب والحركات الفكرية — بالإشارة إلى أن كثيراً من صنائعهم، والببغاوات من أدعياء الثقافة بيننا يتلقفون هذه الدعوات المعرضة فى عالم الأدب والفن والفلسفة وغيرها ، ويبشرون بها باسم التقدم أو التحرر أو التجديد أو الإصلاح وما إلى ذلك من الأسماء كأنها هى دعوات هداية وبناء من قادة منزهين عن المرض والغرض. وإن إلمامة خفيفة بما ينشر فى الصحف والمجلات والكتب بيننا للتبشير بتلك الدعوات والتنويه بشأن البارزين من الصهيونيين وأعوانهم، واللغط الفارغ بتاريخهم وأعمالهم سواء كانوا من العلماء والأدباء والزعماء أو من فتيات المسرح ودور الصور المتحركة وعارضات الأزياء — إن إلمامة خفيفة بذلك لتدل على أننا نعانى محنة فى المروءة والأخلاق فضلا عن محنتنا فى العقول والأذواق .

ونحن لا نلوم « العلماء المستقلين » خدام الحقيقة المطلقة لأنهم يتعصبون للملة اليهودية .

ولكننا نلوم من ينسى مروءته بيننا من أجل كلمات يتلقفها ويسميها علماً ينفصل بصاحبه عن بنى قومه فى معترك العصبيات والأخطار، وإنهم لأحوج الأمم إلى عون العارف والجاهل فى عزلتهم أمام الصهيونية والاستعمار ودسائس الأعداء والطامعين من كل قبيل .

وندعو تلك الطائفة من أدباء العربية وعلمائها المستذلين للأذلاء لنقول لهم : من كان منكم أعلم من فرويد وأينشتين وغيرهما ممن ذكرنا فله أن

يقيس أدبه وعلمه على غير قياس ، وأن يتصل به أو ينفصل عمن يشاء من الناس .

ومن كان منكم يحسب أن الصهيونية أحوج من قومه إلى الأعوان فليبخل بعونه على هؤلاء القوم « الأغنياء »

أما الخذلان ولا غنى عن الغوث فإن أهون وصماته ليخزى من لا يخزيه شيء .

وننتقل إلى بيان شواهد من عصبية الصهيونيين فى ميادين السياسة ، وهى أغلظ وأظهر ، وإن أعمالهم التى تدفعهم إليها حماقتهم لتوبقهم وتغنى فى القضاء عليهم لولا أن خصومهم يلقونهم أحياناً بمثل ما عندهم من الحماقة .

ومن أحدث الشواهد التى تدل على الارتباط الشديد بين مسائل العالم فى العصر الحاضر حملتهم الخفية على إيدن رئيس الوزارة البريطانية فى يناير هذا العام ، وهى حملة تهدد مركزه كما يقولون من جراء حوادث الشرق الأدنى .

ويتألب عليه فى هذه الحملة فريق صغير من المحافظين وفريق كبير من العمال ، وتدير الحملة كلها من وراء الستار أيدى الصهيونية البريطانية تؤيدها الصهيونية العالمية من بعيد .

ولا عجب فى انضمام فريق من المحافظين إلى الحملة إذا تذكرنا أن رئيس الحزب فى الواقع هو الاستعمارى الصهيونى العتيق ونستون تشرشل ، وهو يصرح بانتمائه إلى الصهيونية وإن كان لا يصرح بالسبب . فإنما السبب الحقيقى أنه ينتمى من جانب أمه إلى سلالة إسرائيل .

أما العمال فلا عجب أيضاً من دخولهم فى الحملة أو قيادتهم لها جهاراً ، لأن خزانة الحزب تخوى من المال إن فقدت معونة المرشحين الصهيونيين بارزين ومستترين .

ورئيس الوزارة البريطانية لم يفعل شيئاً يجحف بإسرائيل ليستحق من الصهيونية هذه العداوة .

ولكن الدنيا تجهل إسرائيل وتجهل الصهيونية كلها إن لم تعلم أن القوم حمقى فى الغاية القصوى من الحماقة ، ومن حماقتهم هذه الأنانية المريضة التى تخيل إليهم أنهم وحدهم شعب الله ، وأن الله إلههم وحدهم بغير شريك ، وأن الساسة فى العالم كله مطالبون بخدمتهم ومحاباتهم والتعصب لهم مائة فى المائة ، وإلا فهم أعداء مغضوب عليهم بغير عذر ولا هوادة .

ونحن والله نود لو ينجحون فى حملتهم على رئيس الوزارة البريطانية ، لأن هذا النجاح سيكشف الحقيقة لأعين الناس، ويخرجها من حيز المناورات البرلمانية وراء الستار ، ويومئذ ترجع الصهيونية إلى وكرها مسحوقة الرأس والذنب ، ليستريح العالم من شرورها الجهنمية إلى أن يشاء الله .

إن القوم حمقى فى الغاية من الحماقة . ولكنهم يسلمون من جرائر حماقتهم بحماقة مثلها فى بعض الخصوم الذين ينهضون لمكافحتهم والقضاء عليهم فينفعونهم ويضمون إليهم الأعوان والأشياع .

عاداهم كما قدمنا جماعة الكوكلكس كلان فى الولايات المتحدة وبلغ عددهم أربعة ملايين كعدة اليهود جميعاً فى تلك الولايات ، ولكن حماقة هذه الجماعة سولت لها أن تعادى الصهيونية وتعادى معها الكنيسة الكاثوليكية وحركة التحرير التى ترمى إلى إنصاف السود والملونين ، فاجتمع عليها من الأعداء أكثر مما تطيق .

وعاداهم فى إنجلترا جماعة « المستميتين » فى المحافظة إذ كان لسان حالهم صحيفة المورننج بوست ، ثم عاداهم موزلى وأصحابه من أنصار الفاشية والنازية ، فانتفع الصهيونيون بعداوة هؤلاء لأنهم جمعوا معهم الأحرار والعمال والمحافظين المتوسطين .

ويعاديهم اليوم فى فرنسا حرب « بوجاد » ولكنه لحماقته يحاربهم ويحارب الجمهورية ويريد أن يرجع بالاستعمار مائة سنة إلى الوراء ليحكم الشعوب الشرقية حكم السادة للعبيد .

حماقة خصومهم هى التى تنقذهم من حماقتهم ، ولكن الله سخر لهم دويلة إسرائيل لتكشف عنهم كل مستور ، وتثبت للعالم أنهم — كما وصفهم القرآن الكريم — « قوم لا يعقلون » فلا يريحون ولا يستريحون ، ولن يزال العالم كله فى خطر ما داموا يقبضون بأيديهم على زمام الدسيسة والغرور .

فإذا انقطع هذا الزمام فهم شر على أنفسهم وذويهم ، والعالم منهم فى أمان.

ولا شك عندنا فى حقيقة الحملة التى ترامت أخبارها من البلاد الإنجليزية ، فإن الأسباب الظاهرة واهية لا تستر ما وراءها ، وكلها تدور على غلاء المعيشة كأنه من المستحدثات فى الأشهر الأخيرة ، وقد كان قبل شهر يونيو فى العام الماضى (١٩٥٥) حين اجتمع برلمانهم الجديد — أشد مما هو اليوم .

والبركة فى إسرائيل والعياذ بالله من هذه البركة .

إن إسرائيل هى القضاء المبرم على إسرائيل وعلى الصهيونية بعدها بأمد قصير .

١٦ـ مصير الصهيونية العالمية والأسباب الدولية

تكلمنا فى هذه الفصول عن الصهيونية العالمية ، وعن المرض النفسانى الذى تنطوى عليه ، وعن الطوابير الخامسة التى تعمل بها فى البلاد المختلفة ، وعن العوامل المجملة التى تستمد منها نفوذها ، وعن أساليبها فى استغلال الحركات الاجتماعية والعلاقات الشخصية ، وعن اضطرارها — بحكم طبيعتها — إلى الغش والإفساد فى كل أسلوب تعول عليه .

وننظر بعد ذلك فى هذا الفصل وما يليه إلى مصيرها الذى تنبئنا عنه الوقائع الحاضرة ، ونستطيع أن نقول فى كلمة موجزة : إن الصهيونية العالمية قوة مولية ، وأن عوامل الزوال التى تحدق بها أكبر من عوامل الثبات .

ولذلك أسباب متعددة ، نتناول منها فى هذا الفصل جملة الأسباب الدولية كما تبدو لنا الآن ، وكما تئول إليه مع التطور الواقعى فى المستقبل القريب .

إن الصهيونية هيئة عالمية ، ولا مهرب لها من التأثر بأطوار الشئون العالمية فى هذا الزمن خاصة ، لأنه زمن تتداخل فيه شئون الأمم فى كثير من المصالح والعلاقات .

لقد كانت الصهيونية هى الهيئة العالمية الوحيدة التى تعمل طوابيرها الخامسة دون التفات إليها فى القرون الخالية .

كانت كل أمة تحس بالصهيونية فى حدود بلادها ، وكان الإحساس بها مقصوراً على الشئون الاقتصادية كلما ثقلت على الناس وطأة الديون ، ونشبت فى أعناقهم مخالب المرابين والمستغلين . أما الاهتمام بالصهيونية من الوجهة السياسية فلم يكن مما يشغل بال أحد . لأن السياسة « أولا » لم تكن شغلا شاغلا لأذهان الجماهير ، ولأن الصهيونية « ثانياً » كانت حريصة على التستر والعمل فى السياسة من وراء حجاب ، فكانت مساعيها العالمية مجهولة بين كل أمة ، وكانت كل أمة لا تحس بها فى غير شئونها التى تعنيها داخل حدودها ، وكانت هذه الشئون مقصورة كما تقدم على أزمات الديون والربا المضاعف والاستغلال .

أما اليوم فالعلاقات الدولية ظاهرة فى أهم الشئون العامة ، وليس فى وسع الصهيونية العالمية أن تعمل من وراء حجاب . فلا بد لها من العمل الظاهر ، ولا بد لها مع العمل الظاهر من التحدى المكشوف . . . وتلك ولا ريب فاتحة الدمار . لأن الهيئة التى تتحدى العالم كله — منهزمة فى النهاية بغير مراء .

ومما تغير فى الأحوال العالمية أن السيطرة الاقتصادية كانت فيما مضى سراً من أسرار المكاتب ، وعملا من أعمال السمسرة الخفية وراء الأسواق . وكان فى وسع الصهيونية بالألاعيب المكتبية ، أو بحبائل السمسرة — أن تتلاعب بالأسواق والأسعار وهى آمنة وراء جدرانها .

أما اليوم فالسيطرة الاقتصادية مسألة متشعبة ترتبط بالأحوال الاجتماعية ، والحقوق الوطنية ، وأنظمة الزراعة والصناعة فى جميع القارات ،

وليس فى طاقة هيئة عالمية — مختلسة — أن تقبض بأيديها على أزمة هذه الشئون وأن تسخر لمشيئتها جميع العاملين فى هذه الميادين .

وقد تفعل السمسرة فعلها فى مبادلات العملة ومقادير الواردات والصادرات ، ولكن الألاعيب التى تقدر عليها السمسرة الخفية تقف اضطراراً إذا اصطدمت بسياسة تحسب حساب الثورات والقلاقل ، ولا تجازف بالأخطار وتهديد عوامل الاستقرار ، ومهما يكن من نفوذ الصهيونية فى دولة من الدول فهو نفوذ مصطنع ، يتمرد عليه الساسة حتما كلما بلغ حد المخاطرة ، ودفع بهم إلى تجاهل الواقع فى مشاكل الأطوار العالمية ، وتدخل فيها مصالح كثيرة فى الشرق والغرب ، لا ينقاد زمامها للصهيونية العالمية ، ولا لهيئة من الهيئات على انفراد .

ومن أهم الأسباب التى زعزعت قوة الصهيونية فى سياسة الأمم هذا التغيير الكبير الذى طرأ على مراكز الدول العظمى ، وهذه الضرورات العالمية التى أخرجت الولايات المتحدة من عزلتها ، وجعلتها طرفاً مهما فى كل نزاع بين المعسكرين المتناظرين .

كانت بريطانيا العظمى تقود أحد المعسكرين فى كل حرب عالمية ، أو كل حرب عامة تشترك فيها دول كثيرة .

وكان دور الصهيونية العالمية عظيما جداً فى الحروب والأزمات الكبرى من أجل ذلك ، أى من أجل قيام بريطانيا العظمى على قيادة أحد المعسكرين ، فى كل حرب عالمية .

ومن أيام حروب نابليون ، كانت بريطانيا العظمى تستعين بالصهيونية

العالمية لتضييق الخناق على أعدائها ، وضرب الحصار الاقتصادى المحكم على المعسكر الآخر ومن يعاملونه فى أسواق التجارة .

واستفادت الصهيونية كثيراً من اللعب بالنفوذ بين الدول ، ولم تكن متبرعة فى الحقيقة بمساعدتها لبريطانيا العظمى ، لأن بريطانيا العظمى كانت مركز الصناعة والتجارة وميزان الأسواق .

ثم جاءت الحرب العالمية الأولى وتلتها الحرب العالمية الثانية ، فتعاظم شأن الصهيونية فى السياسة الدولية ، وراحت تساوم على الوساطة والدعاية وتملى الشروط ، وتغلو فى المطالب ، واستخدمت نفوذها فى الولايات المتحدة لتهديد الإنجليز بالعزلة فى ميادين القتال ، فإن لم يستجيبوا لها فى كل ما تطلب أثارت عليهم الدعاية فى الولايات المتحدة فى أحرج الأوقات ، وحاولت جهدها — وهو جهد غير قليل — أن تبقى الدولة الأمريكية بعيدة من الميدان ، وأن تحرم الإنجليز من معونتها المالية والحربية ، أو تؤخرها إلى ما بعد الأوان .

بهذا التهديد نجحت الصهيونية فحصلت على وعد بلفور بالوطن اليهودى فى فلسطين ، وكل ما يقال عن تعليل الحصول عليه بقصة وايزمان ، واختراعه الكيماوى النافع فى صناعة المتفجرات ، فهو من خرافات العجائز وأحاديث الأطفال ، إذ ليس بالمعقول أن تتحمل بريطانيا أعباء الوطن اليهودى لتكافئ مخترعاً يعمل فى مصانعها وجامعاتها ، ولا يستطيع أن يمنعها حق الانتفاع بذلك الاختراع !! فما كان الاختراع إلا علالة قصد بها التمويه لإخفاء الأسباب الحقيقية لهذا الوعد .

إنما نجح الصهيونيون فى انتزاع وعد بلفور لأنهم جعلوه ثمناً للدعاية الأمريكية .

ثم أرادوا أن ينجحوا مثل هذا النجاح فى الحرب العالمية الثانية فأخطأهم التوفيق ، لأن الصهيونية لا تستطيع أن تعزل بريطانيا فى حرب مع هتلر والنازية ، وإن فعلت ذلك فإنما تدور الدائرة عليها .

إلا أن هزيمة هتلر قد أطلقت أيدى الصهيونيين فى التهديد وإملاء الشروط على الدولة البريطانية ، فاستكانت لهم هذه الدولة استكانة لم تقبلها من أحد ، وطغى الأذلاء الذين صبروا على مظالم الطغاة مئات السنين ، فأنفوا أن يعاقب الإنجليز مذنباً منهم تثبت عليه جريمة الفتك والعدوان ، وقبضوا على جند الحكومة ليقتصوا منهم بالجلد والقتل إذا نفذ العقاب فى الصهيونى المحكوم عليه ، فأذعن الحاكمون إذعاناً مخجلا لهذه الغطرسة من هؤلاء الأذلاء . ولولا خوف الدولة البريطانية من دعاية الصهيونية بين الأمريكيين لأتت على تل أبيب نسفاً وهدماً فى لمحة عين .

وتغير الموقف الآن كل التغيير من وجهة السياسة الدولية . فليس فى مقدور الصهيونية أن تعزل بريطانيا العظمى لأن قيادة المعسكر الغربى انتقلت إلى الولايات المتحدة ، وليس فى مقدورهم أن يعزلوا الولايات المتحدة ، لأن سياسة العزلة ذهبت فى خبر كان . ولو حاول الصهيونيون محاولة من هذا القبيل فى إبان حرب من الحروب لكانت هى القاضية عليهم فى تلك البلاد .

وتم التغيير فى الموقف الدولى بعد أن أصبحت للصهيونيين دويلة تسمى إسرائيل .

إن الصهيونيين كانوا يلعبون بالسياسة الدولية ويملكون وقت اللعب فلا يخسرون أولا يصبرون طويلا على الخسارة .

كانوا يلعبون بالسياسة الدولية فأصبحوا فى بعض المواقف على الأقل لعبة للسياسة الدولية ، وأصبحوا هدفاً ظاهراً لمن يهددهم بالانتقام ، فما عليه إلا أن يضرب إسرائيل فإذا بالصهيونية كلها مضروبة من وراء إسرائيل .

إن التغيير الذى طرأ على السياسة الدولية لا يجرى مع المآرب الصهيونية فى مجرى واحد ، وهذا التغيير فى السياسة الدولية سبب من الأسباب التى تولى غداً بالصهيونية العالمية وتنذرها بما تستحق من مصير .

١٧ – مصير الصهيونية العالمية ونفوذها المهدد

من الحكمة ألا يستصغر المرء قوة عدوه .

ومثله فى الحكمة ألا يستعظم قوة عدوه وألا يبالغ فى استعظامها من باب أولى . لأنه إذا استعظمها ضيع فى الحذر منها جهوداً يضره أن تضيع ، وينتفع العدو بضياعها عليه .

والصهيونية العالمية قوة كبيرة ، تملك وسائلها التى تؤذى بها خصومها وتنفع أعوانها وأذنابها ، ولكننا نعدو بها طورها ونجاوز بها حدها إذا قلنا مع القائلين: إنها تخلق الثورات وتدبر الانقلابات وتثل العروش وتهدم الممالك . فإنها لأهون شأناً من ذلك كما قدمنا فى بعض الفصول الماضية ، وإنما شأنها أن تنتفع بالأسرار التى تعلمها وتغتنم الفرصة فى حينها.

والحق أن الصهيونية العالمية أضعف مما ينبغى لمثلها ، وأنها كانت خليقة أن تفعل أضعاف ما فعلته لخدمة مآربها وإنجاح دسائسها ، بالقياس إلى قدم عهدها وانتشار طوابيرها الخامسة فى أجزاء المعمورة ، مع غفلة الغافلين عنها وتواطؤ أعداء الإسلام على مساعدتها . ولكنها تفقد الشيء الكثير بحماقتها وإندفاعها مع هوس العصبية الطائفية ، فإن الصهيونيين — ولا ننس وصف القرآن الكريم لهم — قوم لا يعقلون .

ومن المعلوم أن التنظيم والاتفاق فى الغرض يجعلان العشرة أقوى من المائة ويجعلان المائة أقوى من الآلاف .

والصهيونية العالمية قوة منظمة فى الولايات المتحدة ، ويسمى الساخرون مدينة نيويورك من أجل ذلك بمدينة « جيويورك » Jew York . . أى : « مدينة اليهود » لأنهم يزيدون فيها على المليون ويتعاونون قصداً وعلى غير قصد فى ترويج مصالحهم والنكاية بأعدائهم . ويتصلون بمثل الشبكة المحكمة بالملايين الثلاثة الأخرى الموزعين فى أنحاء البلاد الأمريكية ، ولكنهم — على كثرة العدد واتفاق الغرض — لم يبلغ من نفوذهم أن يصنعوا ما صنعته جماعة منع المسكرات فى أعقاب الحرب العالمية الأولى ، ولم يكن أعضاء هذه الجماعة يزيدون على بضعة آلاف يؤيدهم أناس من رجال الدين . وكانوا يفرضون على الشعب قانوناً لا يريده ، ويحاربون مصالح المعامل التى تصنع الخمور والشركات التى تبيعها ، ويعرضون تعديلا للدستور هو التعديل الذى اشتهر باسم التعديل الثانى عشر ، وتسنى لهم بفضل التنظيم والمثابرة على غرض واحد أن يعدلوا الدستور ، وأن يصدروا قانون تحريم المسكرات من مجلس الشيوخ ، ثم من مجلس النواب ، وأن يتغلبوا على الرئيس ويلسون الذى رفض القانون بحق النقض ، فأعادوه إليه وعبأوا الرأى العام فى وجهه ، فأمضاه مضطراً حسب نصوص الدستور .

هذه الجماعة « جماعة منع المسكرات » لا تذكر إلى جانب الصهيونية العالمية التى تستعين بكثرة العدد وقوة المال وتغلغل الأعوان والأذناب فى كل مكان ، وقد كانت الصهيونية نفسها تقاوم هذا القانون فى الولايات

المتحدة فانهزمت مع المنهزمين أمام « جماعة منع المسكرات » .

ومما لا نشك فيه أن جماعة منظمة تكافح الصهيونية العالمية فى الولايات المتحدة تستطيع أن تقهرها وتمحو أثرها ولو لم تبلغ مليوناً واحداً يحاربون خمسة ملايين . لأن الحقيقة المفهومة أن الصهيونية بغيضة جداً إلى جمهرة الأمريكيين ، وأنهم صبروا عليها طويلا ، واستعدت نفوسهم للتمرد على سلطانها الخبيث ، لو وجدت الجماعة التى تتولى تنظيم المكافحة وتحصرها فى غرض واحد لا تتشعب عليه المطالب والجهود .

ولقد وجدت الجماعة التى تكافح الصهيونية فعلا أثناء الحرب العالمية الأولى — وهى الجماعة التى أطلقت على نفسها اسم « كوكلكس كلان Ku Klux Klane » وعاشت بضع سنوات فوصل عدد الأعضاء فيها على تقدير الخبير الإحصائى ستانلى فروست Stanly Frost أربعة ملايين ونصف مليون .

إلا أن هذه الجماعة القوية وسعت حملتها وشنت الغارة على أعداء أربعة بدلا من عدو واحد . فجعلت فى همها محاربة الزنوج ، ومحاربة التابعين للكنيسة الرومانية ، ومحاربة الاشتراكيين والشيوعيين ، ومحاربة اليهود ، وافتضحت لها أمور معيبة مكنت خصومها من إحباطها وتفريق شملها وتتبع العورات التى تنسب إليها ، ولو أنها قصرت محاربتها على الصهيونية لقضت عليها عنوة فى سنوات معدودات .

لقد كان حظ الصهيونية أن « الكوكلكس كلان » أخطأت هذا الخطأ ، وانفضحت تلك الفضيحة ، ولكن حماقة الصهيونية توازن حظها الحسن

وتربى عليه ، ومن حماقتها أنها تهوس الآن فى الدعاية لإسرائيل ، وتزج بالدولة الأمريكية فى مآزق لا تؤمن عقباها من ورطة بعد ورطة ، وإقحام بعد إقحام ، وأنها لتوغر الصدور عليها كرهاً بالصلف الذى لا يطاق ، ولا بد أن يغضب عليها من تستغضبهم ولا تبالى عاقبة غضبهم ، فينفضوا عن كواهلهم ذلك العبء الثقيل الذى يسخرهم كل هذا التسخير لصهيون إسرائيل .

ومن بوادر الانقلاب على النفوذ الصهيونى فى الولايات المتحدة أن الصهيونيين يخافونه ويدركون خطره ، وأن الخطر يذهلهم عن الصواب ويخرجهم عن السداد ، فيحشدون اليوم جماعات الإرهاب للإيقاع بالخصوم والمعارضين ، ويعملون بأيديهم على مقابلة الإرهاب بمثله ، فلا تعود لهم جماعة «الكوكلكس كلان» هذه المرة بالحملة الموزعة عليهم ، وعلى الزنوج ، والاشتراكيين ، وأتباع الكنيسة الرومانية ، ولا تكسبهم الأنصار من هؤلاء الشركاء فى النقمة والبغضاء ، بل تعود لهم ومعها أنصار متألبون ممن تجمع بينهم عداوة الساميين .

إن الأمم قد تصبر على التسخير الذى تجهله ولا تعرف أضراره ، ولكنها لا تصبر على التسخير المكشوف الذى يلج به التحدى والغرور ، فيركب رأسه غير حافل بما يثيره من السخط والنفور . وقد أوشكت الصهيونية أن تواجه الشعب الأمريكى بمثل هذا الصلف فى قضية إسرائيل ، وفى قضايا السياسة الدولية ، وأوشك هذا الصلف أن يستدعى المقاومة المنظمة لمقابلة الإرهاب بالإرهاب ، وتعددت فضائح الصهيونيين فى مسائل الجاسوسية وأسرار القذائف الذرية ، فلن يطول الأمد على مثل

هذه الحالة حتى تتكشف العداوة الصراح ، ولن يفعل الصهيونيون يومئذ إلا ما يضرم النار ويفسد الجوار .

وفى الولايات المتحدة اليوم أكثر من مائة ألف عربى ومسلم ، ومنهم فى نيويورك نحو خمسة آلاف مسلم . بين بولونيين وشراكسة وهنود ويمانيين ومصريين ، ومنهم فى دترويت Detroit نحو عشرين ألفاً بين لبنانيين وسوريين وألبانيين ، وكل من فى الولات المتحدة من المسلمين أو العرب المسيحيين ذوو همة ودأب وغيرة على القضية العربية ، ولا يطلب من مائة ألف أن يقاوموا خمسة ملايين متأصلين فى البلاد ، متشعبين فى ميادين الأعمال ، ولكنهم عدد لا يهمل فى حساب الفريقين . والاستماع لهم أيسر من الاستماع لأناس يفرضون لهم سيادة على البلد . ويسومون الدولة كل يوم أن تزج بنفسها — لحسابهم — فى مأزق بعد مأزق على غير جدوى وإلى غير نهاية . وهكذا يفعل الصهيونيون فى الولايات المتحدة ، ويعلم الأيقاظ من أبناء البلاد أنهم يفعلون .

قلت فى فصل مضى إن الصهيونية العالمية قوة مولية فى ميادين السياسة الدولية ، ولم نسمع من صهيونى متفائل مبالغ فى خداع نفسه أنه يطمئن إلى مصير النفوذ الصهيونى بين الأمريكيين ، فقد برح الخفاء ، وتكشفت الدسائس ، وعرف العامة ما لم يكن يعرفه إلا الخواص والأخصاء المقربون ، فإذا جرى الصهيونيون على عاداتهم من صلف الذليل ، ورعونة المغرور ، فتذرعوا بذرائع الإرهاب لاستبقاء النفوذ المهدد بالزوال — فتلك علامة أخرى من علامات الإدبار ، وما من إقبال يرجى لمدرع بالليل إذا طلع النهار .

١٨ ـ مصير الصهيونية العالمية
وبنيتهـــا المتناقضة

من علامات الفناء فى الصهيونية أنها بنية متناقضة ، يصلحها من ناحية ما يفسدها من ناحية أخرى ، ولا مفر لها من النقيضين ، وليس من اليسير عليها أن تجمع بينهما ، ولا أن تطمئن معهما إلى طول البقاء .

وأكبر جرائيم الفناء فى هذه البنية أن الخلاف شديد بين الصهيونيين على عقيدة الصهيونية .

فما هذه العقيدة فى أساسها ؟

إنها فى أساسها عقيدة دينية تقوم على الأمل فى ظهور ملك من بيت داد ، يبنى عرشه بمعجزاته وكراماته فى بيت المقدس ، وينشئ فيها مملكة أورشليم التى اختص بها إله إسرائيل شعبه دون سائر الشعوب ، وليست هذه المملكة من عمل الشعب اليهودى ، ولا من عمل أحد من الناس ، ولكنها العمل الذى يتولاه رب إسرائيل بعد تكفير الشعب عن خطاياه : بالتشريد ، واحتمال العذاب والاضطهاد .

هذا هو أصل العقيدة الدينية التى آمن بها الصهيونيون إلى القرن السابع عشر . ثم تحررت العقول وظهرت بين اليهود حركات عقلية فى القرن الثامن عشر ترتاب فى هذه العقيدة ، وتعددت المذاهب التى تناقضها بين جماعة الهاسقالا Haskala ، وجماعة الأحرار ، وجماعة

العصريين المحدثين ، وغيرهم من الجماعات ، وتخلصت هذه الحركات أخيراً في دعوة إسحاق ماير وايز Issac Mayer Wise الذى عقد مؤتمر فلادليفيا سنة ١٨٦٩ ، وأعلن بالقول الصريح أن رسالة اليهودية لا ترمى إلى تجديد ملك إسرائيل على يد ملك من ذرية داود ، وأنها لا تعنى أن يعود اليهود إلى انفصال جديد بينهم وبين أمم العالم ، ولكنها ترمى إلى قيادة الأمم الإنسانية فى طريق الخلاص على سنة الإخاء ، وتكوين عالم جديد يضم جميع الشعوب بهداية روح إسرائيل ، وهو العالم الذى يشتمل يومئذ على مملكة أورشليم الموعودة التى تبقى إلى آخر الزمان .

وظهرت مع هذه الحركة المجددة حركة أخرى تخالفها فى أسلوب التجديد وهى الحركة التى تأثرت بالهيئات القومية فى القارة الأوروبية ، فقام زعماؤها يقلدون دعاة الوطنية وينادون بقومية صهيونية، تعمل لإنشاء وطن قومى يؤسسه اليهود بمجهوداتهم العالمية ولا ينتظرون الملك السماوى الموعود من بيت داود ، لتأسيس الوطن المنشود بمعجزات السماء .

ونشطت هذه الحركة بزعامة هيس Hess الألمانى وسمولنسكن Smolenskin اللتوانى ، وكان هيس من دعاة الاشتراكية : يزعم أنه يريد وطناً يهودياً فى فلسطين ، ليجعله نموذجاً للمجتمع الاشتراكى الذى تقتدى به مجتمعات العالم ، وتلك فى رأيه هى رسالة إسرائيل !

هذان مذهبان منشقان فى الحقيقة عن العقيدة الصهيونية الدينية ، أحدهما يلغى الفواصل بين اليهود وبين أمم العالم خلافاً لعقيدة الشعب المختار ، والآخر يجعل الصهيونية وطناً قائماً بغير العرش الموعود فى بيت داود .

فلما صدر وعد بلفور وتغلبت الفكرة القومية على الفكرة الدينية وعلى الفكرة العالمية ، برز الدعاة القوميون فى الميدان وأسكتوا من عداهم من أصحاب المذاهب بين اليهود ، وانتصروا على المعارضين ولا يزالون منتصرين عليهم بقوة النجاح الموقوت .

ولكنه نجاح لا يدوم

بل هو فى الواقع نجاح مشئوم

فاليهود الذين أوشكوا أن يحطموا الحواجز بينهم وبين أمم العالم قد عادوا بفعل ذلك النجاح المشئوم إلى عزلة جديدة تنقلب مع الزمن شراً عليهم من عزلتهم الأولى .

وهؤلاء الذين نجحوا اليوم بإنشاء دويلة إسرائيل قد أثاروا فى نفوس أبناء دينهم عصبية لا طاقة لهم باشباعها ، ولا طاقة لهم بالاستغناء عنها ، ولا مناص لها من الاصطدام بالواقع فى زمن غير قريب .

هل فى وسع إسرائيل أن تصبح وطناً لجميع اليهود المتفرقين فى أنحاء العالم؟

هل فى وسع اليهود أن يعيشوا فى أنحاء العالم بعصبية قومية سافرة بين الأوطان التى يدينون لها بالولاء ؟

إذا كانت العزلة قد جرت عليهم عداوة الأمم فى الماضى فهى لا تنجيهم من تلك العداوة بعد شيوع أمرها ، وانتباه الناس لمؤامرتها ودسائسها

وإذا كان نجاح الصهيونيين فى إنشاء الوطن القومى بفلسطين — قد نصرهم على معارضيهم من أبناء دينهم ، فلا غنى لهم عن دوام هذا النجاح لدوام هذا الانتصار .

ومن نقائض الدويلة الصهيونية أنها لا تنجح مع اضطهاد اليهود فى العالم ولا تنجح إذا انتهى ذلك الاضطهاد وسلم اليهود من بلواه .

فالوطن الفلسطينى لا يتسع للهاربين من الاضطهاد جميعاً ، ولا يستطيع أن يغلق الأبواب فى وجوههم كما تغلقها الأوطان الغربية، وإلا سقطت كل دعواه .

أما إذا زال الاضطهاد فقد زالت الدعوى من جذورها ، وخمدت النار التى يلهبون بها الغيرة فى صدور أبناء دينهم ، ويثيرون بها العطف عليهم فى صدور الغرباء .

إن هــذه الحركة القومية لا بد أن تعيش لكى تتغلب فى المستقبل على العقيدة الدينية ، وعلى مذاهب الإصلاح العالمية ، كما تغلبت عليها فى هذه السنوات .

وقد تعيش سنوات معدودات من المعونة الخارجية التى يجود بها الاستعمار ، أو يجود أبناء دينهم مؤمنين مقتنعين ، أومتورطين خاضعين للتهديد .

ولكنها لن تعيش على المعونة الخارجية مدى السنين ، ولن تعيش طويلا إلا إذا قامت على قدميها واستقلت بمواردها ، وهذه هى النقيضة الكبرى التى تصير بها من نقيض إلى نقيض .

لن تعيش إسرائيل إلا بصناعة ، ولن تعيش صناعتها إلا بخامات وأسواق .

والبضاعة الناشئة تحتاج إلى القصد الكبير فى النفقات والتكاليف ، ولا سبيل إلى القصد الكبير فى نفقاتها وتكاليفها مع الأجور العالية التى

تفرضها أحزاب الصناع ، ولا تبالى أن تزيد بها على أجور المهندسين والأطباء وغيرهم من الفنيين الممتازين .

وتحتاج الصناعة الناشئة إلى الخامات الرخيصة وإلى الأسواق التى لا مزاحمة فيها .

فإذا لجأت إسرائيل إلى شراء الخامات من بلاد بعيدة زادت خسارتها على أرباحها ، وإذا أرسلت مصنوعاتها إلى الأسواق البعيدة لم تجد من يشتريها بأثمانها الغالية ، مع اشتداد المزاحمة فى تلك الأسواق .

لهذا تتهافت إسرائيل على مصالحة الأمم العربية ، وفك الحصار الذى تضربه تلك الأمم عليها ، ولا يكفيها أن ترغم الأمم العربية على مصالحتها وفتح أسواقها لمصنوعاتها ، بل يلزمها أشد اللزوم أن ترغم العرب جميعاً على البقاء — مدى السنين — بغير صناعة تنافس الصناعة الصهيونية ، وتستأثر بالخامات لعاملها وأبنائها ، وهذه هى النقيضة التى تضاف إلى غيرها من النقائض ولا تختمها على كثرتها .

إن نجاح إسرائيل نكبة على الصهيونية ، لأنه نجاح مشئوم ونجاح لا يدوم .

كان اليهود يشفقون من عزلتهم بين أمم العالم ، ويفكرون فى تحطيم حواجزها ، وتقريب الفوارق بينهم وبين الأمم الإنسانية على سنة الإخاء والروابط الوطنية فى كل أمة ينتمون إليها .

فلما نجحت إسرائيل ، وأقامت لها وطناً قومياً فى فلسطين — لم يكن لنجاحها غير معنى واحد لا تسلم من جريرته ، وذلك هو العزلة الدائمة ،

والعصبية التى تخضع العالم كله لدسائسها ومؤمراتها أبداً ، أو تخضع للعالم كله فى النهاية خضوع المقهور .

وإن الصهيونية لتسير مع الزمن إذا كان الزمن يؤيدها فى الإنفصال الدائم من أمم العالم ، والسيادة الدائمة عليها ، والغفلة الدائمة فى هذا العالم الذى تسوده وتتحداه .

فإذا أبى عليها الزمن ذلك — وسيأباه لا محالة — فنصيبها من أمسها الذى تفر منه أهون من نصيبها عند الغد المجهول ، بل الغد المعلوم .

١٩ – الصهيونية العالمية

مصيرهم فى أعينهم

من المفيد – ونحن ننظر إلى مصير الصهيونية العالمية – أن نلم بأمثلة من نظرات الصهيونيين وأعوانهم إلى ذلك المصير .

ومن الأمور ذات المغزى أن البحث فى هذا المصير متعاقب متواتر بعد الحرب العالمية الثانية ، فهم من صهيونيين وأعوان للصهيونيين متفقون على أن الوطن اليهودى فى فلسطين لا يحل مشكلة الصهيونية ، وليس هو على اليقين بالحل الأخير .

وهؤلاء الصهيونيون عصابة عاملة لا يعوزها النشاط فى نشر الدعوة ، واستدراج الأعوان والأنصار إلى المشاركة فيها ، وهم على كثرة نشراتهم منذ الحرب العالمية لم يغيروا شيئاً فى جملة الآراء التى يرونها فى مصيرهم : يبدئون فيها ثم يعيدون، كرة بعد كرة ، منذ الحرب العالمية الثانية ، إلى إعلان قيام الدويلة الإسرائيلية ، إلى هذه الأيام التى يعلقون فيها أكبر الآمال على مصيرهم مع جيران فلسطين .

فتارة يؤلفون فيه الكتب ، وتارة ينشرون فيه الكراسات والفصول ، وتارة يستكتبون فيه المقالات من اليهود وغير اليهود ، ليوسعوا العناية به جهدهم ؛ ويجتذبوا إليه القراء الذين لا يقبلون على دعاية ينفرد بها دعاة صهيون .

إحدى هذه المجاميع اشتملت على ستة عشر رأياً بعنوان « مستقبل اليهود » ، واشترك فيها طائفة من المؤرخين والصحفيين وأساتذة الجامعات وأعضاء المجالس النيابية ، بعضهم من اليهود وبعضهم من المسيحيين ، ومنهم الألمان والإنجليز والروسيون والبلجيكيون .

ولا يخفى أن أصحاب هذه الآراء من غير اليهود — قد استجابوا للرجاء والإلحاح ، أو استجابوا لداعى المنفعة والهوى ممن يعنيهم جمع الآراء فى هذا الموضوع .

وهذه أمثلة من نظرات الصهيونيين إلى مصيرهم نبدأ بها فى هذا الفصل، ونتبعها بفصل آخر عن آراء الأعوان والمجاملين من غير الصهيونيين.

أحد المساهمين فى هذه المجموعة أستاذ روسى يسمى شتينبرج Steinberg عمل فى تدريس الفلسفة بجامعة لنينجراد ، واشترك فى تأليف الموسوعة اليهودية الكبرى التى تصدر فى باريس ، ورأيه أن العداوة السامية لم تختف من روسيا بعد اختفاء القياصرة ، وأن الجيل الجديد من الناشئة الشيوعية يضمر الكراهية لليهود كما كان يضمرها آباؤهم المتدينون، وأن الكاتب الروسى مكسيم جوركى قد يئس من إزالة هذه العداوة بتدبير الحكومة وسلطان الشريعة ، وأشار باصطناع الصبر فى علاجها حتى تزول بالتربية والإيحاء فى برامج التعليم ، فإن السلاح القديم قد تثلم ولكنه لم ينكسر ، ولا يزال حاضراً فى أيدى حامليه ، والقول الفصل عند شتينبرج فى مصير اليهود : « إن الشعب اليهودى فى أصل تكوينه هيئة عالمية أو دولية ، وأن ستالين قد أصاب حين استبعد

حل المشكلة اليهودية فى وطن واحد ، ولا غنى لها عن عدة أوطان » .

ومن كتاب هذه المجموعة ريجنالد سورنسن Sorensen عضو مجلس النواب الإنجليزى عن دائرة ليتون الغربية ، ورأيه أنه « من الصواب أن تخصص أقاليم منعزلة فى القارة الأوربية لإقامة اليهود فيها ، وأن هذه التجربة لم تفلح فى روسيا ، وقد تخفق فى غيرها . ولكنها جديرة بالتكرار حتى تنتظم شئون الوصاية على الأقليات ، على نحو يضمن السلامة للأقليات اليهودية » .

ومن كتاب هذه المجموعة هايمان ليفى Hymen Levy أستاذ الرياضيات بجامعة لندن وغيرها من الجامعات البريطانية ، ورأيه أن فلسطين برمتها لا تعدو أن تكون أقلية صغيرة فى قلب العالم العربى الكبير ، وأنه من الخطأ أن يتوهم أحد أن الوطن اليهودى فى فلسطين — وهو لا يضم إلا القليل من الشعب اليهودى كله — يحل المشكلة ويختم البحث فيها ، ويستطرد فيقول : « ما من أحد — إلا أن يكون أعمى البصيرة — يخفى عليه أن الدور المقبل من أدوار التاريخ الإنسانى منتقل بالنظام الاقتصادى فى الدنيا بأسرها إلى الاشتراكية الأممية ، وفى مثل هذا النظام تمحى القضية اليهودية كما يمحى الكابوس الثقيل . . . وليس العقل السليم وحده بالذى يوحى إلى اليهود أن ينخرطوا فى حركة التقدم الإنسانى الشامل ، بل يوحيه إليهم طلب السلامة والحرص على البقاء » .

ويبحث غير واحد من كتاب المجموعة فى حل المشكلة برجعة اليهود المهاجرين من ألمانيا إلى أوطانهم الأولى بعد انهزام النازية ، ومن هؤلاء

الباحثين «أوتو ليهمان روسفلدت Otto Lehman Russfueldt المولود فى ألمانيا والعضو فى الجماعة التى تألفت فيها باسم « عصبة الحريات المدنية » . . . وفحوى كلامه أن الرجعة إلى الوطن الألمانى مستحبة بعد اتخاذ الحيطة لحماية اليهود من خطر الاضطهاد ، وتخويف الأمة الألمانية بالقصاص إذا تكرر ذلك الخطر على أيدى الحكومات التى تخلف حكومة النازيين قال : « إننى — وأنا ألمانى ووطنى عالمى — أنظر إلى الأثر الأدبى الذى نجم من عمل اليهود فى الإسكندرية أيام الدولة الرومانية ، والأثر الأدبى الذى نجم بعد ذلك من عملهم فى أسبانيا وهولندة ، وعلى مثال أوضح من ذلك فى ألمانيا نفسها ، فيطيب لى أن أهنىء العائدين وغيرهم من اليهود المنتمين إلى الوطن العالمى من هذا الطراز إذا وجدوا سبيلهم إلى الديار الألمانية » .

والمصير كله معلق على مركز اليهودى بين الأمم فى رأى الدكتور ليفى زلمانوفتز Levy Zelmanovitz ، أكبر زعماء الصهيونيين فى بلاد التشك ، وسكرتير الحزب اليهودى فى بلده ، ثم رئيس المجلس اليهودى فى العاصمة الإنجليزية منذ نشوب الحرب العالمية الثانية . فهذا الزعيم الصهيونى يقترح لحل مشكلة اليهود فى أوربة أن يتساوى اليهودى وغيره فى جميع الحقوق السياسية ، وأن تعتبر الطائفة اليهودية حيث كانت « أقلية » قومية تحميها منظمة الأمم المتحدة ، ويحق لها بطبيعة الحال أن ترجع إلى تلك المنظمة لتحكم بينها وبين « الأكثرية » فى وطنها كلما شجر بينهما خلاف على تطبيق الحقوق .

ومتى تقرر لليهودى حق مساو لكل حق مفروض لغيره من أبناء الوطن الواحد ، وتقرر للطائفة اليهودية حق فى تكوين الأقليات تحميه الدول الكبرى ، فقد هانت مشكلة اليهود فى العالم ، وأصبحت قابلة للرقابة والإشراف .

وخلاصة هذا الحل أن شعوب العالم مطالبة بإلغاء كل فارق بينها وبين اليهود ، ولكن اليهودى غير مطالب بإلغاء الفارق الذى يقيمه بينه وبين شعوب العالم ، وغير مطالب بالنزول عن عقيدة الشعب المختار الذى ميزه بها « يهوه » على شعوب العالمين أجمعين ، وأن دول العالم الكبرى التى تدير منظمات الأمم المتحدة مطالبة بالتدخل فى شئون الأوطان الداخلية لتمكن اليهود من الاحتفاظ بعزلتهم وامتيازهم فى نظر أنفسهم ، وتحقيق الشكايات التى تدعيها « الأقليات » اليهودية ، وتنتظر الإنصاف فيها من الدول الكبرى ، ووراء هذه الدول نفوذ الصهيونية العالمية كما هو معلوم .

ولم يكتم المؤلف الذى جمع هذه الآراء طبيعة المشكلة المعروضة على ذوى الآراء لحلها والنظر إلى مصيرها ، بل قال فى المقدمة : « إن مسألة مصير اليهود عولجت فى هذه الصفحات على القاعدة التى توجب إشراك اليهود إشراكاً تاماً فى أوطان الشعوب المتحضرة وحلفاء الأمم المتحدة ، وهى لا تنحصر فى عرض قضية الوطن القومى ، بل تتجاوزه إلى احتمال إنشاء أوطان قومية أخرى غير فلسطين :

ثم قال فى ختام المقدمة : « وسواء تعلق الأمل بأرض الموعد فلسطين أو بهيئة عالمية تتمثل فيها حقوق اليهود ويتقرر بها مركزهم فمستقبل اليهود

بعيد من أن ينظر إليه كأنه مصير مبشر مأمول » .

والخلاصة فى كلمتين أن هؤلاء القوم الذين وصفهم القرآن بأنهم لا يعقلون — لم يصنعوا بالوطن القومى فى فلسطين إلا أنهم جروا بأيديهم عداوة حامية كانوا مستريحين منها ، وخلقوا للدول الكبرى مشكلة كانت فى غنى عنها ، وعادوا مرة أخرى يبحثون عن أوطان ، ويحارون فيما ينتظرهم من مصير » .

٢٠ ـ مصير الصهيونية العالمية
فى أعين أصدقائهم

لخصنا فى الفصل الماضى أمثلة من نظرات الصهيونيين إلى مصيرهم كما بدا لهم منذ الحرب العالمية الثانية ، ومؤداها جميعاً أن مشكلة اليهود فى العالم لا تحل بإقامة الوطن القومى فى فلسطين ، وأنهم ينظرون إلى أوطان أخرى فى القارة الأوربية، وإلى حلول أخرى لمشكلة اليهود الفردية فى كل بلد من بلدان الحضارة .

ونلخص فى هذا الحديث أمثلة من نظرات الأصدقاء المجاملين ، وهم رجال ونساء مشتغلون بالمسائل العامة ، سألهم الصهيونيون أن يصرحوا بآرائهم فى مسألتهم ، فصرحوا بها على مناهج شتى : من مجاملة النفاق ، أو مجاملة التحفظ والاعتدال .

فمنهم من كان كالمعزى الذى أراد أن يسبق أهل الميت فى العويل والصياح ، فكان فى آماله لأصدقائه صهيونياً أكثر من الصهيونيين .

ومنهم من تذكر أمانة الفكر وتبعة النصيحة العامة، فقال ما لا يغضب الحقيقة .

ومنهم من لجأ إلى روغان كروغان الساسة ، فجاء بكلام لا يربط قائله ، ولا يمنعه أن يفسره بما يشاء .

فمن المجاملين الذين سبقوا أهل الميت فى العويل والصياح كاميل

هويسمان Camille Huysmans الفلمنكى ، الذى كان أستاذاً بجامعة بروكسل ، ووزيراً للعلوم والفنون ، ورئيساً لمجلس النواب ، فهذا المجامل الذى جاوز حدود دوره على المسرح حماسة وغيرة — يقول : إن حل قضية العرب لا يتوقف على العرب ، بل يتوقف على البريطان والأمريكيين ، وعلى اليهود . ويخيل إليه أنه يقسم الأرزاق للشعوب باسم هؤلاء الذين يتوقف عليهم مصير العرب ، فيقول : إن العرب على كل حال لا يحق لهم الشكوى من نصيبهم فى الدنيا . . . لأنه على وفاق هذا الرأى نصيب قد ارتضاه لهم البريطان والأمريكيون واليهود ويمضى فيقول : إن الصهيونية تستند إلى الضرورة ، وإلى السلطان النافذ ، وإلى المنطق ، ويؤيدها نصير أوربى من غير أهلها أراد أن ينفذ إلى لبابها ، وقد نظرت إلى الصهيونية بعين وطنى فلمنكى يعيش فى بلاد البلجيك وربما استطعت من أجل هذا أن أفهمها بهذه السهولة ، وقد اضطر البلجيكيون أيضاً إلى النضال لخلق دولتهم وتقرير مركزها ، وثابروا على النضال عدة قرون إلى سنة ١٨٣٠ ، ثم ثابر الفلمنكيون — وهم على الأقل نصف السكان — على نضالهم للاعتراف بحقوقهم الثقافية ، فبلغوا به الغاية الموفقة من تجاوز العنصرين واللغتين .

وعند هذا المؤرخ العلامة أن قضية العرب واليهود فى فلسطين تشبه قضية البلجيكيين والفلمنكيين ، وأن إقامة دولة يهودية فى محيط الكمنولث البريطانى ضمان لسلم الصهيونية ، وسلم القارة الأوربية ، وحاجز أمان إلى جوار قناة السويس .

ومن المجاملين المعتدلين كاتب من محبي السلام ، منحته لجنة نوبل جائزتها سنة ١٩٣٣ ، وهو نورمان أنجل Angell صاحب كتاب « الوهم الأعظم » المشهور بالدعوة إلى الإخاء ، واحترام الحياة الروحية التى أوشكت أن تفقد احترامها فى العصر الحديث .

فهذا الكاتب يترك مسألة الوطن القومى فى فلسطين جانباً ، ويوجه التفاته كله إلى مسألة الهجرة ، وتيسيرها للمضطهدين من اليهود ومن الشعوب الأخرى التى تضيق بها أوطانها بين الكثرة المتغلبة عليها ، ويشير الكاتب إلى المستعمرات البريطانية التى تتقبل الوافدين إليها من الخارج ، ولكنها تقيد الهجرة بقيود ثقيلة تكاد أن تمنعها ، فيقول : إن المستعمرات حكومات مستقلة بشئونها الداخلية ، ولكننا فى انجلترا نستطيع أن نتقدمها بالقدوة الصالحة ، فتعدل عن بعض تلك القيود ، ولا تقدم على العدول إذا استفادت من جهود المهاجرين إليها .

وتوماس مان كاتب آخر من حملة جائزة نوبل ، ومن المتصدرين بين جماعات الدعوة إلى السلام والاجتماع على التسليم ، وأصله من سلالة يهودية ألمانية ، ولكنه يتجنب الاندفاع فى التعصب لقومه ، ويحاول أن يصبغ عليهم صبغة العطف على الضعفاء المضطهدين من كل ملة . ومقالته فى هذه المجموعة تخلو من ذكر الوطن القومى فى فلسطين ، وتدور بالأمل كله فى مدار الهجرة الميسرة ، والتسوية بين اليهودى وغيره فى حقوق الوطن والوظائف السياسية ، وإذا تعرض لبقاء الصهيونية قال إنها ستبقى فى المستقبل لا كما بقيت فى الماضى ، وإن مصائب التشريد والاضطهاد

لا تدوم على حالة واحدة ثم يختم كلامه عن الهجرة بملاحظة عملية يحث بها الأمم الديمقراطية على تقدير الظروف الاستثنائية فى تطبيق قوانين الهجرة ، لأن هذه القوانين لا تقدر فى الوقت الحاضر أحوال الاضطهاد التى تسوق المئات والألوف إلى مغادرة أوطانهم فى آونة واحدة . ثم يقول : عسى أن يفيض المعنيون بمصير اليهود بموجات من العطف والغضب والثبات على المعونة تبلغ إلى السفاحين الذين يزهقون الحقوق والفضائل الإنسانية فيخيفهم ، ويكون لها فوق ذلك أثرها الفعال فى حث القادرين على المساعدة وتخفيف الآلام .

ومن الذين كتبوا بلغة السياسة فى هذه المسألة سيدة إنجليزية اشتهرت فى حركة المطالبة بحق المرأة فى الانتخاب والنيابة ، وهى السيدة كوربت آشبى Corbett Ashby التى نابت عن بريطانيا العظمى بين سنتى ١٩٣١ و ١٩٣٥ فى مؤتمر نزع السلاح ، وقد أيدت الدعوة الصهيونية كل التأييد كأنها ملاذ « احتياطى » لمن يضطرون إلى الهجرة من أوطانهم ، وأتبعت ذلك بالتحفظ السياسى الذى تؤكد فيه ضرورة إنصاف العرب إذا أريد منهم أن يتقبلوا الوطن الصهيونى طواعية بحسن نية وبغير إكراه أو مخادعة ، وأن ينال العربى جميع الحقوق التى ينالها اليهودى فى الدولة الصهيونية .

ويشبه السيدة آشبى فى لهجتها السياسية إدوارد هلتون Hulton مؤسس اليكشر بوست Picture Post وغيرها من الصحف العصرية ، وهو لا يدين بمذهب حزب من الأحزاب ولا يتقيد بخطة معينة فى السياسة البريطانية ،

وقد ذكر فى مقدمة كلامه أن المسلمين تسامحوا فى معاملة اليهود خلال القرون الوسطى ، وأن اليهود يتعرضون للنفور والجفاء لعزلتهم الدينية والقومية ، وأن عداوة الساميين موجودة اليوم فى البلاد الإنجليزية ، وتزداد بعد الحرب العالمية ، ولكنها قد تهدأ بعد هزيمة النازيين ، وتبطل الفائدة منها كلما استغنى الحكام المستبدون عن هدف يحولون إليه حماسة الجماهير ، ويثيرون به شعور البغضاء الذى يعتمدون عليه فى التقرب إلى رعاياهم المخدوعين ثم انتهى قائلا : وبعد كل هذا ينبغى أن نعلم أن العرب موجودون فى فلسطين ، وأنها واقعة لا تبطل بالجدل والمناقشة ، ومن المشكوك فيه أن يتحقق إنصاف قوم باغتصاب آخرين ولا سيما القوم الذين هم طرف ثالث فى المشكلة ، ولا ذنب لهم فيما وقع على اليهود من إجحاف .

* * *

هذه أمثلة من نظرات الأصدقاء المجاملين إلى مصير الصهيونية ، تكاد فى جملتها أن تنتهى بنا إلى نتيجة واضحة لا تختلف باختلاف الباحثين ماداموا من الباحثين المسئولين الذين يدركون تبعاتهم ، ويحاسبون أنفسهم على آرائهم . فما لم يكن الكاتب مأجوراً رخيص الضمير فهو شديد التحفظ فى مؤازرة الصهيونية ، ومجاراتها على شهوات العصبية التى تزين لها الهيام الأحمق باغتصاب فلسطين ، واعتبار المقام فيها باسم الوطن القومى — حلا لمشكلة اليهود ، يحسم المشكلة ، ويريح الأمم والحكومات من هوس الصهيونيين وأخطارهم التى يجرونها على أنفسهم وعلى سائر الشعوب .

وإذا كانت الدويلة الصهيونية تأتى بنكبات جديدة ، ولا تدفع نكبة واحدة — فالمشكلة باقية ما بقيت الصهيونية العالمية ، وسلامة العالم أن تقلع الصهيونية العالمية عن هوسها ، وأن يقلع المؤيدون لها عن تشجيع ذلك الهوس الوبيل ، فإنه لا دوام له مع انقطاع التشجيع والتأييد ، وانكشاف السر « العالمى » فى عصر لا تحتجب فيه هذه الأسرار .

٢١ ـ مصير الصهيونية العالمية
ومقاطعة العرب

إذا كان هناك شيء يتفق عليه العرب والصهيونيون ، ويتفق عليه من يكتبون لمصلحة القضية العربية ومن يكتبون لمصلحة الصهيونية ــ فذلك هو الحقيقة التى تبدو لأول نظرة ثم تبدو مؤكدة مرددة بعد مائة نظرة : أن إسرائيل لا تحتمل البقاء مع مقاطعة العرب لها ، فإذا قاطعها العرب وثابروا على مقاطعتها فليس فى الأرض قوة تنصرها عليهم ، وليس بالعرب من حاجة إلى سلاح يدفعون به خطرها أمضى من هذا السلاح .

إن الحقائق البينة التى يجترئ الصهيونيون على إنكارها كثيرة لا تحصى إلا هذه الحقيقة التى لا تقبل المراء والمغالطة . فإنهم يسلمونها ويعلنونها ، ويسلمها معهم أناس يبحثون قضية فلسطين بحث العالم المجرد عن الهوى ، وأناس لا يفوهون بحرف فى هذه القضية إلا لخدمة إسرائيل أو خدمة صهيون .

نشرت مجلة الشرق الأدنى فى عدد الخريف سنة ١٩٥٤ بحثاً مفصلا بعنوان « اقتصاد إسرائيل المشوه » ذكرت فيه العوائق التى تشوه هذا الاقتصاد أو تمزقه فقالت : (أولا) مقاطعة العرب ، ومنها إغلاق قناة السويس ، فإنها تحرمها مورداً رخيصاً من موارد الخامات وسوقاً سهلة لتصريف البضائع المصنوعة ، و (ثانياً) اضطرارها إلى إبقاء جيش قائم

وإلى تقرير التجنيد العام مما يكلفها نصف مواردالميزانية العادية،و (ثالثاً) قطع أنابيب البترول من العراق إلى حيفا ، وهو أمر لا يقصر عمل المصنع الخاص بالتكرير على خمس طاقته وكفى ، بل يضطر إسرائيل إلى دفع عملة أجنبية ثمناً للبترول بلغت فى سنة ١٩٥٣ نحو خمسة وأربعين مليون ريال ، وكان فى ميسورها — لولا المقاطعة — أن تشتريه بالعملة الوطنية .

وكتب خبير عسكرى فى الديلى تلغراف — هو الجنرال هـ . ج مارتن H.G. Martin فقال : « إن إسرائيل مضطرة إلى الاستعداد ببارودها الجاف فى كل وقت » — وهو تعبير يراد به الاستعداد لتجريد السلاح بغير إمهال ، فإن حدودها تبلغ ستمائة ميل ، وليس لها عمق كبير لأنها تضيق حتى تنقص عن سبعة أميال ، وتتسع فلا تزيد على عشرين ميلا .

ولهذا تنوء بأعباء التجنيد العام ، وتفرض الجندية سواء على الرجال والنساء من سن مبكرة ، تبتدئ فى فرق الشباب فى الرابعة عشرة ، ونظامها الزراعى نفسه قائم على هذه الضرورة الحربية ، لأن الخلايا الزراعية الموزعة على الحدود ، أو بجوارها — لابد أن تقوم فى الوقت نفسه بأعمال الاستطلاع وأعمال الطلائع كأنها فى الميدان .

وفى حديث جرى بين مندوب نيوزويك Newsweek الأمريكية فى شهر مايو سنة ١٩٥٤ صرح وزراء إسرائيل بالخسائر التى توقعها بهم مقاطعة العرب ، وقالوا : إنهم يضطرون إلى جلب البترول من فنزويلا فى أمريكا ، وإن خسارة البترول وحدها تكلفهم أربعين مليون ريال ،

وهو مقدار يساوى الإعانة التى حصلوا عليها هذه السنة من الولايات المتحدة . . . ومضت الصحيفة فقالت : « إن مقاطعة العرب قد تعرض إسرائيل لنكبة جديدة غير نكباتها الماضية ، فربما تدفق على أرضها نحو خمسمائة ألف من يهود مراكش والجزائر وتونس الذين يحسون بوطأة المقاطعة العربية فى تلك البلاد . »

فالحقيقة التى تواجه الصهيونية فى مقاطعة العرب أشد عليهم وأوضح أمامهم وأمام غيرهم من أن يكتموها وأن يغالطوا أنفسهم فيها .

ولكن العلة الأصيلة فى إسرائيل أنها مخلوق متناقض ، يعتمد فى بقائه على النقيضين ، فهو يعادى العرب ، ويقتحم عليهم ديارهم ، ويستغل مواردهم . . . ثم يطمع منهم فى المعونة التى يقدمونها بأيديهم لتمكينهم من الاقتحام والاستغلال .

وقد تبلغ القحة والصفاقة بهم وبأنصارهم أن يصرحوا بالأمرين فى وقت واحد . فمن أعجب ما قرأناه ، بل من أعجب ما يروى على طول الزمن ، أن يقول قائل منهم : إن إسرائيل حربة طاعنة فى جنب العالم الإسلامى ، ثم يعود فيقول : إن الأمل معقود بأن تعيش إسرائيل بين العرب معيشة الجيران والعشراء .

قبل عامين أوفدت « السنداى تيمس » مندوباً يسمى تريفور روبر T. Roper ليدرس أحوال إسرائيل ، ويكتب لها عن موقفها ومصيرها كما يشير إليه ذلك الموقف ، فقال فى عدد الرابع من شهر أبريل : « إن إسرائيل واغلة فى قلب العالم الإسلامى وإنها تلوح لهذا العالم الإسلامى

كرأس الحربة الممتدة من حضارة أجنبية مهددة ، وقد تكون فاتحة متوسعة »، ثم يقول : « إن الفاتحين السابقين قد فرضوا على العرب طبقة حاكمة موقوتة ، أما اليهود فإنهم بهجرتهم جماعات جماعات قد أصبحوا مجتمعاً كاملا لا يبقى إلى جانبه موضعاً لسكان آخرين » .

يقول هذا فى عدد الرابع من أبريل ، ثم يقول فى العدد الذى يليه — أى عدد الحادى عشر من أبريل — إن هذه الحربة فى جنب العالم الإسلامى قد تعيش فى جوفه معيشة الجيران فتقوى على البقاء والتعمير .

وقال : « إنه لا مناص لإسرائيل مع مقاطعة العرب فى الوقت الحاضر من البحث عن أسواق بعيدة، تبيع فيها حاصلاتها ومصنوعاتها . ولكن هذه المقاطعة إذا انتهت وقبلت الحكومات العربية حكومة إسرائيل لتعيش إلى جانبها معيشة الجيران — فيومئذ تنظر فنرى إسرائيل كأنها بلجيكا أخرى أو كأنها ألستر أخرى فى المشرق . . . »

وعلينا نحن العرب الطيبين الذين يقبلون الحربة جاراً مقيما فى أبدانهم ، أن نفهم ماذا يعنى هذا الصهيونى الأريب بالمثل الذى ضربه عن بلجيكا أو عن ألستر دون غيرهما من البلدان .

فبلجيكا حربة فى جنب ألمانيا ، وألستر حربة فى جنب أيرلندة ، وكلتاهما تقيم فى مكانها لأن العدو ملاصق لحدودها .

ومن العدو هنا غير الأمم العربية ؟ ومن المطلوب منه أن يثبت هذه الحربة فى جنبه غير الأمم العربية ؟ ومن الذى يقبل هذه الغفلة فى ظن هذا الصهيونى وأمثاله غير الأمم العربية ؟

إن غفلة الأمم العربية وخيانتها لنفسها مطلوبتان لراحة إسرائيل وتخفيف متاعبها . فلم لا تتغفل الأمم العربية نفسها باختيارها أو على الرغم منها ؟ ولم لا تخون قضيتها وتبيع حاضرها ومستقبلها إذا كان ذلك لازماً لراحة إسرائيل ، وتخفيف المتاعب عن إسرائيل ؟ .

عجب لا مثيل له فى العجب .

وأقوال تقال ولا يدرى قائلوها أن العربى لن يعقل منها غير معنى واحد أوضح أمامه من الشمس فى ضحاها ، فلولا عداوة جهنمية — والعياذ بالله — لهذه الأمم العربية لما خطر لهؤلاء الناس أن اللفظ الذى يهذرون به كلام يقال ويجوز على العقول .

إن الأمم العربية يطلب منها أن تعجز باختيارها عن مقاومة إسرائيل فى ميدان المعاملات ، ويطلب منها أن تنظر إلى الخنجر فى يد صهيون فتفتح له صدرها ، أو تأخذه من يدها لتغمده فى تلك الصدور الخاوية .

وكل هذه الأعاجيب التى لا تخطر على البال لو لم تنظر بالأعين وتسمع بالآذان ، إنما هى فى الواقع من أعاجيب هذا المخلوق المشوه المتناقض المسمى إسرائيل ، فإن بقاءه يتوقف على النقيضين ، ولا بقاء لمخلوق يقوم على نقيضين ، فهو عدو العرب ومصيره بأيدى العرب ، ولا حيلة للعرب فى الأمر لأنهم مخيرون بين مقاطعة هذا العدو ، وبين إحيائه بالوسيلة التى لا حياة له بغيرها ، وهى استغلال البلاد العربية وتوطينها النفس على البقاء إلى الأبد رهينة بذلك الاستغلال ، فإنها لا يكفى منها لإبقاء إسرائيل أن ترفع الحصار عنها ، بل يجب على كل أمة عربية بعد

ذلك أن تظل مفتقرة إلى الصناعة لتشترى من إسرائيل ولا تشترى من من صناعتها ، وأن تظل رخيصة الخامات لتأخذ منها إسرائيل ما تأخذه بالثمن البخس الذى تجود به عليها ، ونكاد نقول : إن العرب لو أرادوا ذلك لما استطاعوا ، ولهذا ينكشف المصير المحتوم أمام الصهيونية فى إسرائيل ، مصير يتوقف على المستحيل .

٢٢ ـ الاستعمار الصهيونى

حديثنا هنا عن الصهيونية المستعمرة

واليهودية كلها لم تقم لها دولة فى العالم منذ أكثر من سبعة وعشرين قرنا ، فلم تكن قط فى عداد المستعمرين بقوة حكومتها وجيشها ، وإنما كان عملها فى الاستعمار أنها تستتر وراءه ، وتمهد له ، وتعتمد عليه فى الاستغلال وامتصاص دماء الشعوب .

ولكنها دخلت فى عداد المستعمرين منذ ابتليت فلسطين بتلك العصابة التى تسمى دولة إسرائيل ، فلا وجود لها ــ ولا يتأتى أن تبقى فى الوجود ــ إلا إذا عاشت على استغلال الشعوب من حولها ، وليس من حولها شعوب تطمع فى استغلالها غير الشعوب العربية .

إننا نسمع عن التوازن بين إسرائيل والعرب ، ونعلم أن هذا التوازن يقضى بحرمان العرب من كل قوة حربية تزيد على قوة إسرائيل ، أى يقضى بحرمان خمسين مليونا أن تزيد قوتهم على قوة مليونين اثنين على أكبر تقدير .

وإذا تساوى العرب وإسرائيل فى القوة الحربية ــ فمعنى ذلك أن إسرائيل أقوى من العرب جميعاً . لأنها تتصرف فى قوة واحدة بإرادة واحدة ، ولها بذلك فرصة أسرع على الأقل من فرص العرب مجتمعين .

لكن الواقع أن الموازنة الحربية ليست كل ما هنالك ، وأن الموازنة الحربية لا تهم إسرائيل بمقدار ما تهمها القوة الصناعية والاقتصادية ، وهى

التى تجعلها قوة مستعمرة أخطر من جميع المستعمرين ، لأنها لا تعيش بغير الاستعمار ، ولا تجد لها مجالا للاستعمار غير البلاد العربية .

إن الموازنة الحربية لا تهم إسرائيل، ولا تعتقد هى أن بقاءها متوقف عليها . لأن فى العالم أمما كثيرة لم تعتمد على الأسلحة الحربية فى البقاء ، وإسرائيل بصفة خاصة تعتقد أن الذين خلقوها سيبادرون إلى نصرتها ومعونتها إذا تعرضت للهزيمة فى ميدان القتال ، وقد تعرضت لها قبل بضع سنوات فلم تنج من الهزيمة بفضل سلاحها وجندها ، بل بفضل الدول المتألبة لحمايتها وخذلان العرب فى ميدان القتال ، وفى ميدان السياسة .

فالموازنة الحربية بين إسرائيل والعرب معناها رجحان إسرائيل على العرب مجتمعين . ولكنها — أى الموازنة الحربية — مع ذلك لا تهم إسرائيل كما تهمها قوة الصناعة والاقتصاد ، لأنها تعيش بغير موازنة فى السلاح ، ولن تعيش بمواردها زمنا طويلا إلا إذا تفوقت على العرب فى ميادين الصناعة والاقتصاد .

إن إسرائيل لن تعيش إلا بوسيلة من وسيلتين : فإما أن تظل عالة على التبرعات والمعونة الخارجية بغير انقطاع ، ولا تستطيع دولة أن تعتمد على هذا المورد فى تدبير وسائل البقاء الطويل .

والوسيلة الأخرى أن تعيش بمواردها فى صناعتها ومرافقها التجارية والاقتصادية ، وليس فى استطاعتها أن تعيش بمواردها الصناعية وثروتها الاقتصادية حين يتقدم العرب فى الصناعة ، وحين تصبح لهم تجارة تناسب هذا التقدم فى إخراج المصنوعات .

إذا عاشت إسرائيل فلا بد لها من الحصول على مواد الخامات بأثمان رخيصة ، وهى لا تحصل على هذه المواد بالثمن الذى تقدر عليه حين تتقدم الصناعة فى البلاد العربية ، وحين تصبح مساوية للصناعة الكبرى أو الصناعة الصغرى فى إسرائيل . فإن الأمة العربية التى تتقدم فى صناعتها تستفيد بخاماتها ، ولا تفرط فيها ليأخذها المنافسون لها فى إخراج المصنوعات وبيع السلع ورخص الأثمان .

وإذا أرادت إسرائيل أن تعيش بمصنوعاتها فلا غنى لها عن بيعها فى الأسواق القريبة منها .

وإنها إذا أرسلتها إلى الأسواق البعيدة تضاعف ثمنها وعجزت عن منافسة الصناعة الأوربية والأمريكية .

أما إذا أرسلتها إلى الأسواق القريبة فهى أسواق البلاد العربية ، وهى لن تضمن الرواج فى هذه الأسواق إلا إذا كانت تلك البلاد العربية بغير صناعة وبغير مصنوعات .

فتعجيز البلاد العربية — إلى الأبد — شرط لازم لبقاء إسرائيل معتمدة على مواردها ، غير معتمدة إلى غير نهاية على صدقات المتبرعين ومعونة الحماة والنصراء من الدول الأجنبية .

ينبغى أن تظل البلاد العربية عاجزة عن التقدم الصناعى ، فريسة للمستغلين من الصهيونيين ، لتعيش إسرائيل بثروتها وموارد صناعتها .

ينبغى أن يضرب الحجر الأبدى على بلاد العرب ، فلا تكون لها قوة تزيد على قوة إسرائيل فى ميدان القتال ، ولا تكون لها صناعة تعول عليها

وتستغنى بها عن الصناعة الصهيونية فى أيام السلام .

ولا حاجة إلى كشف الأسرار ولا هدم الجدار للنفاذ إلى ما وراءه من الأغراض والأوطار .

فالمسألة بديهية ملموسة لا يختلف فيها قولان ، ولا تقبل التصديق إن اختلف فيها المكابرون والمغالطون .

إذا كان رجحان الصهيونيين فى عدة الحرب واجباً متفقاً عليه ، وخطة مقررة فى عرف حماة الصهيونية — فليس من المعقول أن يسمح للعرب بالرجحان فى عدة الصناعة وموارد الثروة والمال ، ولا حاجة إلى قراءة الضمائر الخفية للعلم بالمقاصد المبيتة للبلاد العرب جمعاء ، فلن تقف تلك المقاصد دون تعجيز العرب فى ميدان الحياة العصرية ، وتقييد نهضاتهم وبرامج الإصلاح فى أوطانهم — كلما عملوا على تدبير ثروتهم ، وتوفير مصنوعاتهم ، والانتفاع بخاماتهم ، والاستغناء بها عن السادة المتحكمين ، أو السادة المستغلين فى إسرائيل .

وهذه هى الصهيونية المستعمرة .

وهذا هو الاستعمار الصهيونى الذى لا يدانيه فى الخطر استعمار قديم ولا حديث ، لأنه يوصد طريق التقدم — من جميع جهاته — أمام خمسين مليونا ليستغلهم مليونان ، ولا ينتهى هذا الاستغلال بعد حين قصير أو طويل ، بل يزداد ويتفاقم مع الزمن ، وتتواطأ عليه القوى البارزة والمستترة ، ممن يسمون هذا المسخ الأبدى توازناً فى الاستعداد والعدة بين العالم العربى وعصابة صهيون .

ومن خفى عليه الأمر فى مبدئه ، فقد برح الخفاء أمام عينيه عاماً بعد عام ، فلا عذر له إن لم يفهم معنى وجود إسرائيل ، وعاقبة وجودها بين العرب على تعاقب الأعوام .

إنها لم توجد لتعيش بمواردها .

إنها لم توجد لتعتمد على نفسها .

ولكنها وجدت لتختق الحياة العربية من حولها ، وتتقدم وحدها بصناعتها بين بلاد لا صناعة لها ، ولا فائدة لها فى العالم الإنسانى غير امتصاص دمها لإحياء بنية طفيلية شاذة ، تعطيها من فضلات الرزق ما تجود به عليها ، كى تستبقى فى عروقها بقية من الدم تمتصه وتعيش عليه .

موازنة فى السلاح . . .

كلا ! لا موازنة فى السلاح إذا تساوت إسرائيل و بلاد العرب فى القوة الحربية ، لأن إسرائيل تملك فرصتها منفردة بمشيئتها ، وليست قوة فى يد واحدة كقوة موزعة بين الأيدى ، و إن تكن على أتم وفاق.

إلا أن الخطب هين فى هذه الموازنة بالقياس إلى موازنة أخرى أهم وألزم لإسرائيل من موازنة السلاح .

إن تعجيز العرب أجمعين عن مجاراة إسرائيل وحدها فى ميدان الصناعة والتقدم أفدح خطوب الاستعمار منذ وجد الاستعمار . وهذا هو استعمار الصهيونية الذى يراد ، ولا يستتر فيه المراد .

وإن ربك لبالمرصاد .

٢٣ ـ الصهيونية والمستقبل

تترجح دويلة إسرائيل بين الكفتين : كفة التمكن والبقاء وكفة التداعى والفناء . وفى كل من الكفتين عواملها وأسبابها ، ولكن عاملا واحداً إذا بقى فى كفة التداعى والفناء كانت له الغلبة فى النهاية لا محالة ، وهو عامل المقاومة العربية . أول عوامل التمكن والبقاء هو العامل الطبيعى الذى يسيطر على كل حى فى هذا العالم وهو حب البقاء . فالدويلة الصهيونية تحب أن تبقى وتتوسل إلى البقاء بكل وسيلة فى مقدورها وميسورها ، ومنها وسائل العلم والصناعة ونشر الدعوة فى العالم الخارجى ، ومنها معونة الدول الكبرى بالمال والسلاح . وفى سبيل البقاء تعمل هذه الدويلة على رى صحراء النقب، ونشر المحلات الزراعية التى ظاهرها حرث وغرث وحصاد ، وباطنها حصون ومعاقل استطلاع . وفى سبيل البقاء تستعد بقوة عسكرية أكبر من كل قوة فى الأمم الأخرى بالنسبة إلى عدد سكانها ، ولكن هذه العوامل كلها تقابلها على الكفة الأخرى عوامل مثلها وأشد منها ، وهى عوامل طبيعية غير مصطنعة كمعظم العوامل التى تساعد على بقاء إسرائيل .

إن ثروة إسرائيل مثقلة بالتفاوت الكبير بين صادراتها ووارداتها . . . فوارداتها خمسة أضعاف صادراتها ، وما دامت المقاومة العربية محيطة بها من جميع جوانبها فهى مضطرة إلى جلب الخامات من بلاد بعيدة ، وإرسال المصنوعات إلى أسواق بعيدة لا تستطيع المزاحمة بتكاليف صناعتها الغالية .

ويضاعف هذه التكاليف الصناعية أن جماعة « هستدروت » تصر على رفع الأجور، حتى بلغ أجر العامل فى إسرائيل ضعف أجره فى البلاد الإنجليزية ، ونجمت من ذلك مشكلة داخلية بين العمال المتفرنجين والعمال الشرقيين الذين يقنعون بالأجور المعتدلة ، فإن جماعة «هستدروت» تسعى إلى تقييد الهجرة إلى إسرائيل من البلاد الشرقية منعاً لهذه المزاحمة ، وقد أصبح العمل فى الدويلة الصهيونية شبه احتكار للمتفرنجين المترفعين عن إخوانهم فى الدين، وهم يزدادون تشبثاً باحتكارهم كلما أحسوا بانفرادهم فى الميدان ، لأن عدد المهاجرين من إسرائيل إلى خارجها يكاد يساوى فى الوقت الحاضر عدد المهاجرين من خارج إسرائيل إليها . وقد كانت الزراعة فيما مضى معهودة إلى طوائف الكبوتيين ، وهى طوائف اشتراكية تملك الأرض وتزرعها بالاشتراك بينها فى العمل والمعيشة ، فلما فترت الدفعة الأولى من دفعات الحماسة والعصبية قل الإقبال على الملكية المشتركة ، وغلبت عليها طوائف الموشوية ، أو طوائف الملكية الفردية ، وبين الفريقين اليوم من التنافس والتناظر ما ينذر الزراعة بأزمة كأزمة الصناعة ، أو أعسر وأبقى .

ولا ننس الباعث النفسانى الذى كان يسوق اليهود إلى فلسطين عقب الحرب العالمية الأولى ، فقد كان باعثاً فعالا يغذيه الأمل من جهة ، ويغذيه الاضطهاد من جهة أخرى ، فلما فتر الأمل وزال اضطهاد النازية والفاشية — ضعف الباعث النفسانى الذى كان يوماً من الأيام (رأس مال) الحركة كلها ، وأصبح الصهيونيون يستغيثون بأبناء ملتهم ليعودوا إلى

تلك الحماسة ، ويتساندوا على التضحية فى سبيل القضية العظمى ، فلا يسمعون لهذه الاستغاثة صداها الذى تعودوه ، لأن الحماسة المصطنعة لن تغنى غناء الحماسة المطبوعة بغير كلفة أو تدبير . وقد تقدم أن الاستعداد الحربى فى إسرائيل أقوى من كل استعداد فى الأمم الأخرى بالنسبة إلى عدد سكانها ، وهذه ضرورة لا محيد لها عنها ، وعبء فادح لا يتأتى لها أن تخفف منه ما دامت البلاد العربية تقاومها وتقاطعها ، فإن حدودها البرية تزيد عن سمائة ميل لا بد لها من الحراسة الدائمة وخطوط الدفاع المستمرة ، ومهما تصنع من ضروب الحيطة فالأعباء أكبر من الطاقة ، وهى اليوم أعباء تكلفها الكثير وتلجئها إلى نظام من التجنيد ثقيل الوطأة على مواردها البشرية والاقتصادية . فمن الرابعة عشرة ينتظم الذكور فى فرقة الشباب إلى الثامنة عشرة ثم يدعى الذكور والإناث فى الثامنة عشرة إلى التجنيد للخدمة العامة ، ومنها الخدمة فى الطيران ، ويظل النساء بعد انتهاء الخدمة العامة أربع عشرة سنة رديفاً تحت الطلب ، وتتضاعف هذه المدة بالنسبة للذكور ، فيدعون خلالها شهراً كل سنة للتدريب .

هذا الاستعداد فيه من عوامل الضعف بمقدار ما فيه من عوامل القوة، وإذا انهزم جيش كهذا فى القتال فهى هزيمة الأمة كلها وفناؤها بالعدد والعدة، وهى نكبة لا يتعرض العرب لمثلها، لأنهم يزيدون على أربعين مليونا . ويستطيعون أن يخصصوا للتجنيد جيشاً فى عدة إسرائيل كلها برجالها ونسائها وأطفالها ، ثم يخلفوه بغيره و بغيره دون أن يستنفدوا ما عندهم من وسائل المقاومة والثبات .

إن التناقض يضرب بمعوله فى كيان إسرائيل من أساسه ، فإنها قد أنشئت لتكون وطناً قومياً لليهود ، فهل هى كذلك الآن ؟ وكيف يمكن أن تكون وطنا قومياً لهم بأى معنى من معانى الوطنية ؟

إنها لا تسع يهود العالم ، ولا يهود العالم يرغبون جميعاً فى الانتقال إليها . قد صدف عنها من رحلوا إليها ، وتبين للكثيرين منهم أن مقامهم فى الديار الأجنبية أنفع لهم من محاولتهم العقيمة فى البلاد التى يزعمون أنها وطنهم المختار . وإذا طال بإسرائيل عمرها وجاء اليوم الذى يتكرر فيه اضطهاد النازية والفاشية فليس من البعيد أن تصد إسرائيل سيول الهجرة إليها كما تصدها الأمم الأخرى ، لأنها لا تستطيع أن تؤويهم ، بل لا تريد إيواءهم باختيارها ، سواء قصدوا إليها للإقامة الدائمة أو للإقامة الموقوتة .

ومع هذا التناقض صعوبات أخرى ، لم يتغلب عليها اليهود قط ولن يتغلبوا عليها ، وهى الصعوبات التى تخلقها بينهم شكاستهم المعهودة منذ كانوا قبل أربعة آلاف سنة فى جزيرة العرب ، إلى أن أخرجتهم شكاستهم منها ، ثم أخرجتهم من العراق ، ثم أخرجتهم من كنعان ، ثم أخرجتهم من مصر ، ثم أخرجتهم من فلسطين ، ثم عرضتهم للعدوان والبغضاء فى كل وطن وبين كل أمة . ولولا أن الخطب فى المرحلة الأخيرة أكبر من طاقتهم — لظهرت شكاستهم هذه على عادتها بين طوائفهم المختلفة التى برزت حتى الآن فى الدويلة الصغيرة ، وعندهم منها حزب الرجعة وحزب الفرنجة ، وعندهم منها الماليون والشيوعيون ، والشرقيون والغربيون ، وفى

وسعهم — على الرغم منهم — أن يخلقوا للشكاسة أسبابا لا تخطر على بالهم ولا على بال أحد. فلن يزالوا كما وصفهم القرآن الكريم مع حلفائهم « تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى » لأنهم لا يعقلون .

وتعود بنا صفتهم بأنهم لا يعقلون إلى وهم شاع عنهم بين من يعتقدون أنهم شعب ممتاز بالذكاء والنبوغ ، وقد عرضنا لهذا الوهم مرة ، ورجعنا إلى حقيقته فكانت الحقيقة أنهم عالة على ثقافات الأمم . فإن فضل كل أمة راجع إلى ثقافاتها التى أنشأتها ، ولكنهم هم يعيشون بين كل أمة ويأخذون من كل ثقافة ، وإذا نظرنا إلى النجاح فى عالم المال فلا امتياز فيه لليهود على طائفة أخرى تنتفع بالفرصة التى ينتفعون بها ، وشاهدنا على ذلك عدد الأثرياء فى مصر بين طوائف الأرمن والإغريق وأمثالهم من أمم البحر الأبيض المتوسط ، فإنهم قد يزيدون على أثرياء اليهود أو يساوونهم فى العدد، وقد يزيدون عليهم كذلك أو يساوونهم فى مقدار الثراء وتنوع مصادر الإثراء ، وقلما يرجع نجاح الإغريقى أو الأرمنى إلى تضامن بينه وبين أبناء جلدته كما يتضامن يهود العالم .

وعلينا — بعد — أن نقدرهم ونسبر غورهم ، ولكن بالمقياس الصحيح الذى لا مبالغة فيه من ناحية القوة ، ولا من ناحية الضعف ، ولنذكر أسباب بقائهم فى دويلتهم كما نذكر أسباب تداعيهم وانحلالهم ، ولا ننس أن الدول الكبرى تعينهم تعصباً على الإسلام والعرب وإن لم يكن تعصبا لهم ،

ولكن البنية لا تستمد الحياة من معونة غيرها إن لم يكن فيها قوام الحياة ، ولن تحيا إسرائيل إذا بقيت مقاومة العرب راصدة لها فى كفة انحلالها وفنائها ولو دامت لها معونة الثقلين ، وهى لا تدوم . . .

٢٤ ـ الصهيونية العالمية

فى الختام

شركة تبحث عن رأس مالها القديم ، فتعلم أن الكثير منه قد تبدد ، وأن مابقى منه يوشك أن يضيع .

تلك هى الصهيونية فى العصر الحاضر ، أو فى المرحلة المتوسطة بين ماض عاشت فيه على استغلال الاضطهاد واللعب بأعمال الصيرفة والمضاربات وتسخير الطوابير الخامسة فى المؤامرات الخفية ، وبين مستقبل يجور على كل حصة من هذه الحصص التى تجمع منها رأس مالها ، ويوشك أن يكشف حسابها جميعاً ، إن لم يأت على بقية منها بعد بقية ، وعلى رصيد منها بعد رصيد .

فكل ما بحثوا فيه من أمر المصير وأشرنا إليه فى الفصول السابقة . .

وكل ما يعلنونه أو يسرونه اليوم من الشكايات الحقة أو الشكايات المفتعلة ، فإنما هو بحث عن رأس المال المهدد بالضياع .

قيل إن الصهيونيين الإنجليز اتصلوا بالوفد الروسى المسيحى ، فى العاصمة الإنجليزية ، وبحثوا معه فى أحوال اليهود المقيمين بالبلاد الروسية .

وقيل إن عمال اليهود الأمريكيين طلبوا من الرئيس أيزنهاور أن يفاتح مندوبى الروس إلى مؤتمر « جنيف » فى أمر السماح لليهود الروسيين بالهجرة إلى إسرائيل .

ومن تحصيل الحاصل أن يقال أن صاحب هذه المباحث وهذه المطالب يقصدون إلى الدعاية ، ولايقصدون إلى الجد فيما يذيعونه من شكايات اليهود الروسيين وإقناع الحكومة الروسية بالترخيص لهم فى الهجرة إلى إسرائيل .

فليس من اليسير أن تعترف حكومة « الكرملين » على نفسها باضطهاد رعاياها وهى تذهب إلى جنيف لإعلان مزاياها الحكومية ورعايتها لحقوق المحكومين .

وليس من اليسير إذا اعترفت حكومة الكرملين باضطهاد اليهود أن أن ينتقل خمسهم ولاعشرهم إلى إسرائيل ، وعدة اليهود فى روسيا تزيد على خمسة ملايين .

وليس من اليسير أن تستوعبهم إسرائيل وهى تضيق بمن فيها وتتوالى الأنباء بعزم الكثيرين منهم على العودة من حيث أتوا ، وتردد الكثيرين منهم فى التحول من جنسيتهم إلى جنسية إسرائيل .

وإنما هى بضاعة الاضطهاد يشعرون بالحاجة إلى استغلالها فى الآونة الحاضرة ، لأن رصيدهم القديم منها يقارب النفاد . .

كانوا يستغلون اضطهاد النازيين اليهود فى البلاد الألمانية ، وكان لهم مكتب فى برلين يتواطأ مع النازيين على تنظيم الاضطهاد وتنظيم الهجرة من جرائه إلى إسرائيل ، وكان لهم رئيسان معروفان يديران ذلك المكتب لحساب الصهيونية العالمية ، وهما — كما ذكر فى فصل سابق — رئيس يدعى بينو ورئيس يدعى بارجلعاد .

ولا يعنينا هنا أن الاضطهاد يقع أو لا يقع ،ولا يعنينا أنه يروى على حقيقته أو يروى مبالغاً فيه ، ولكن الواقع فى جميع الأحوال أنه بضاعة نفسية تستغلها الصهيونية العالمية ، وتمزج فيها بين استغلال العطف الإنسانى واستغلال الخوف من الأعداء .

فالنازية كانت العدو المخيف لأمم الغرب قبل منتصف القرن العشرين ، فمن الأرباح النافعة التى تستفيدها الصهيونية العالمية أن تثير العطف على ضحاياها ، وأن تثير البغضاء على العدو المخيف ، وأن تكون ضحية الأعداء الألداء التى تستحق العون من الساخطين على النازية ، والمتوجسين من مطامع النازيين .

والشيوعية اليوم هى العدو المخيف لأمم الغرب التى كانت بالأمس تحارب النازية فى ميدان السياسة وميدان القتال .

فالصهيونيون إذن هم ضحايا الاضطهاد فى بلاد الشيوعية ، ومن الواجب أن تثار الدعاية حول هذا الاضطهاد فى هذه الآونة على التخصيص ، لأن فضائح الجاسوسية فى الولايات المتحدة قد كشفت عن علاقة وثيقة بين الجواسيس الصهيونيين وبين الدولة الحمراء ، وقد ذكرت الأمريكيين بأن الشيوعية كلها قامت قبل أربعين سنة على أيدى العشرات من دعاة صهيون .

رأس مال يتجدد لأنه قارب على النفاد ، ودليل جديد على أن الصهيونية العالمية تعيش اليوم على رأس مال مهدد بالضياع .

ويصيح سفير إسرائيل فى الولايات المتحدة محتجا على تفتيش السفن

التي تعبر قناة السويس إلى إسرائيل ، ومتعجباً من إصرار العرب على مقاطعة الدويلة التي تحسب أنها شوكة فى جنوب الأمم العربية ، ومنكراً على هذه الأمم أنها — كما يزعم — تبنى الآمال الكبار على خذلان أمريكا للصهيونيين ، ومؤكدا أن الحوادث العارضة لن تكدر صفو العلاقة الأمريكية الصهيونية ، وأن آيات الصداقة والحب لا تنقطع فى الوقت الحاضر ولا فى وقت من الأوقات .

رأس مال آخر مهدد بالضياع .

وكلام لاتثبت منه إلا حقيقة واحدة ، وهى أن إسرائيل محرومة من عوامل البقاء بغير المعونة الأمريكية ، وأن الأمم العربية تعرف ذلك كما كما يعرفه الصهيونيون ،

فالمطلوب على هذا من الأمم العربية أن تعدل عن المقاطعة ، لأن معونة أمريكا لإسرائيل باقية ، ومقاطعة العرب فى هذه الحالة لا تفيد .

وينسى السياسى الصهيونى أن هذه الصفحة يمكن أن تقلب عليه أو أنها قد تقرأ من اليمين إلى الشمال كما تقرأ من الشمال إلى اليمين .

قد يقال مثلا : إن أمريكا ستعلم أن مقاطعة العرب دائمة ، وأن معونتها لإسرائيل فى هذه الحالة لاتفيد .

وقد يقال مثلا إن عداوة العرب والعالم الإسلامى كله مشكلة خطيرة فى السياسة الدولية ، وأن عداوة الصهيونية لأمريكا لن تكون مشكلة خطيرة يحفل بها الشعب الأمريكى أو الدولة الأمريكية . لأن الصهيونية عالة على القوم لا قبل لها بمحاربتهم كما كانت تحارب البريطان والألمان .

والمسألة فى جوهرها أكبر من مسألة الخلاف الحاضر بين العرب وإسرائيل .

فإنما هى مسألة الموازنة بين نتيجتين لا معدى عن إحداهما على تعاقب الأيام .

فإما أن تذهب إسرائيل من حيث أتت ، وإما أن تبقى الأمم العربية فريسة لإسرائيل تأكل من لحمها ودمها وتحول بينها وبين التقدم ، لكى تأمن مزاحمتها اليوم وغداً وإلى آخر الزمان فى ميدان الصناعة والتجارة والارتقاء على الإجمال .

وذهاب إسرائيل من حيث أتت أهون النتيجتين وأدناهما إلى المعقول.

وذهابها من حيث أتت نتيجة محتومة فى مصير صهيون .

إن صهيون عاشت من قبل على طوابيرها الخامسة فى جميع الأقطار ، وليس من طبيعة الطوابير الخامسة أن تعمر طويلا إذا تفتحت عليها الأنظار .

إن صهيون عاشت من قبل على اللعب من وراء الستار بأعمال الصيرفة وأسواق المضاربات ، وليس فى مقدورها اليوم أن تعيش بهذا اللعب المكشوف ، لأن شئون الثروة ترتبط فى العصر الحاضر بأطوار الاجتماع وثورات الأمم وحقوق الطوائف والطبقات ، ولا يسهل العبث بها وراء الأبواب وبين الجدران .

إن صهيون قد عاشت من قبل بالبضاعة التى تسميها « الاضطهاد » ، وتتجر بها بين اليهود وغير اليهود ، فإذا وقع الاضطهاد فى العصر الحاضر

فهو مشكلة للدويلة إسرائيل قبل أن يكون مشكلة للدول التى تضطهد اليهود ، أو تحاول إنقاذهم من الاضطهاد .

فإذا هى فتحت أبوابها للمضطهدين فهى مختنقة بالزحام ، عاجزة عن إيواء المزدحمين على الأبواب .

وإذا هى أغلقت بابا من تلك الأبواب فقد هدمت دعواها بيديها ، وبذرت بذور الفتنة بين رعاياها وبين اللاجئين إليها والمقيمين فى غير بلادها .

وسيأتى اليوم الذى يعلم فيه الصهيونيون — كما يعلم غير الصهيونيين — أن قيام إسرائيل نكبة عليهم ونكسة بهم إلى عزلتهم الأولى وعصبيتهم الباطلة التى يعاديهم الناس من أجلها ويعادون من أجلها كل إنسان لا يحسبونه من خلق الله المرضى عنهم ولا يدخلونه فى عداد « شعب الله المختار » .

ومتى وقفت صهيون فى جانب من عزلتها وعصبيتها ، ووقف العالم كله على سعته فى جانب الحذر منها — فذلك هو المصير الذى لا مراء فيه ، وذلك هو الختام .

عباس محمود العقاد

تعقيب

برتوكولات حكماء صهيون

يشاء الله أن نلتقى فى « تعقيب » بعد الفراغ من قراءة فصول « الصهيونية العالمية » لأستاذنا العقاد كما التقينا فى « بداءة » قبلها ، وهذا فضل آخر يسديه إلينا الأستاذ الجليل ، وإنا لنتلقى فضله بما هو أهله من الغبطة والشكر .

وقد رئى أن يكون « التعقيب » تلخيص كتاب خطير أشار إليه الأستاذ العقاد فى مستهل الفصل الرابع هنا ، وما هو بغريب عن « الصهيونية العالمية » موضوع هذه الفصول ولا هو بضعيف القرابة منها ، بل هو من صميم موضوعها ، وإنه ليتناولها من الوجهة التى تتناولها منها هذه الفصول ، فالكتاب يتضمن مجموعة من الوثائق السرية كتبت فى أخريات القرن الماضى ، وطبعت لأول مرة فى روسيا سنة ١٩٠٢ ، ثم انتشرت ترجماتها فى سائر الأقطار الأوربية بلغات عدة ، ولوحظ — كما أشار الأستاذ — « أنها لا تظهر فى لغة من اللغات إلا اختفت على أثر ذلك ، وأنها تختفى كلما عادت إلى الظهور مترجمة أو مطبوعة من جديد » وتفسير هذه الظاهرة فيما نرى أن اليهود يجمعون نسخها كلما عادت إلى الظهور ، لأنه يفضح مؤامرة من مؤامرات « الصهيونية العالمية » .

ونضيف إليها ملاحظة أخرى للمؤرخ المعاصر الأستاذ دجلاس ريد Douglas Reed فى كتابه عن الحركات السرية فى العصر الحاضر ، هى أنه لم يجرؤ طابع ولا ناشر فى أوربا وأمريكا على طبع هذه الوثائق منذ سنة ١٩٢١ ، وذلك أمر بالغ فى دلالته على سعة « نفوذ » الصهيونية العالمية » على وسائل الطبع والنشر هناك ، لأن هذه الوثائق تفضح مؤامرة اليهود لغزو العالم والتسلط على حكمه وخيراته ، وهم حريصون على أن تبقى مؤامرتهم نافذة دون أن يفطن إليها أحد غيرهم ، بل دون أن يلمحها أحد بينهم عدا أكابر زعمائهم الذين يشاركون فى تدبيرها وتنفيذها فى الخفاء ، فهكذا قدروا للوثائق ، وهكذا يصادرونها فى كل مكان .

١ — عنوان الوثائق «بروتوكولات حكماء صهيون Protocols of the Learned Elders of Zion وقد أضيف إليه فى الترجمة الإنجليزية عنوان آخر تستحقه هو « الخطر اليهودى » The Jewish Peril وبهذين العنوانين معاً سمينا ترجمتنا ، وهى أول ترجمة كاملة لها بالعربية ، والعنوان الأول هو الأشهر فى مختلف اللغات .

٢ — معنى بروتوكولات هنا محاضر جلسات ، وهذه التسمية لا تطابق محتويات الوثائق تماماً ، فإنها ليست بالضبط محاضر جلسات بل تقريراً مسهباً وضعه زعيم قوى النفوذ فى مؤتمر يهودى سرى فحاز الموافقة ، وقد قسمه أقساماً لا تطرد اطراداً منطقياً على الدوام ، ورسم فيه خطط مؤامرة يهودية جهنمية تنتظم جميع العالم وتمتد إلى مختلف نواحى نشاطه ، وتسعى إلى تنغيص أمنه ورغده ، حتى يتم إخضاعه لليهود ، وقراءة

البروتوكولات تشعرنا بأنها جزء من مؤامرة أخرى أخطر وأوسع ، وإذا كانت هذه المؤامرة الأخرى لم تنكشف حتى اليوم فإنها تعبر عن نفسها فى هذا الجزء تعبيراً قوياً واضحاً .

٣ ـ وإذا تأملنا محتوياتها بدت كأنها حقائق مسلمة مألوفة كثيراً أو قليلا ، وإن عبر عنها بحدة وبغضاء لا تصاحبان فى العادة الحقائق المألوفة ، فبين سطورها تتأجج بغضاء دينية عنصرية متغطرسة عميقة الجذور ، قد خبئت بنجاح أمداً طويلا ، وإن كانت فى الواقع لتجيش وتفيض من إناء طافح بالنقمة والسخط ، مدرك تمام الإدراك أن نصره النهائى أقرب .

٤ ـ تسعى المؤامرة لزعزعة كل مقومات المجتمع الحاضر ونظمه ، وتركز طليعة ضرباتها وأعنفها على الأمم المسيحية ، لأن المسيحيين أوسع الأديان انتشاراً ، وأممها أقوى الأمم وأوسعها نفوذاً ، ولها الزعامة والتوجيه العالمى ، وإذا أمكن القضاء عليها كانت هزيمة بقية الأمم والأديان أيسر وأسرع ، ولا تبقى حينئذ إلا الديانة والقومية اليهودية ، ولا بد لذلك من تسلط اليهود على الأمميين أو الجوييم[1] .

٥ ـ هدف المؤامرة تمكين اليهود من الاستئثار بحكم العالم وثمراته ، لأنهم شعب الله المختار لزعامة الجنس البشرى ، فما خلق العالم إلا ليكونوا هم سادته وأوصياءه ، ومن حقهم وحدهم استعباده وتسخيره بكل الوسائل ،

(١) يسمى اليهود من عداهم « الجوييم » ومعناها الكفره والأنجاس والوثنيين والبهائم .

واحتكار كل سلطة ومنفعة فيه ، وليس لمن عداهم من الأمم إلا السمع والطاعة ، واحتمال الخسف والهوان ، والرضا بأحط الأعمال ، والقناعة بما يجود به اليهود من فضلات الرزق .

٦ ــ تتحقق سيادة اليهود على الأمميين بإقامة مملكة يهودية استبدادية تحكم العالم كله ، يكون مقرها أورشليم (القدس) أولا ، ثم تستقر فى رومة[1] إلى الأبد ، ويتعاقب على عرشها حكام من ذرية ملكهم ومسيحهم داود ، وكل حاكم من هؤلاء يربى تربية خاصة على أيدى زمرة مختارة من حكماء صهيون ، ولا يصل إلى العرش إلا إذا اجتمعت له كفايات خاصة ، فإذا توج كانت ذاته مقدسة لا تمس ، لأنه سيكون بطريرك العالم وملكه معاً ، وسيكون مستشاروه طائفة من أعظم الساسة الموهوبين ، ولا يجوز له أن يملك شيئاً خاصاً به ، لأنه وحده يملك كل شيء فى العالم ويتصرف فيه كما يشاء .

٧ ــ ترى المؤامرة أن جميع نظم الحكم الحاضرة فاسدة ، ومن واجبها زيادة إفسادها فى تدرج حتى تسقط فى الوقت المناسب لقيام المملكة اليهودية العالمية لا قبله ولا بعده ، وان الأخيار بين الناس قلة نادرة ، وسائرهم أشرار ، فالقوة وحدها هى الوسيلة الناجحة فى السياسة ، وأن حقوق الشعوب أفكار لخداعها لا حقائق تقبل التنفيذ ، وأن السياسة ليست من عمل الشعوب ولا عمل العباقرة الذين لم يخلقوا لها من الأمميين ،

---

(١) يلاحظ أنها عاصمة الرومان قديماً والكثلكة حديثاً .

وإنما السياسة أو الحكم صناعة سرية سامية مقدسة لا يحسنها إلا نخبة ممتازة موهوبة من اليهود ، دربوا عليها تدريباً تقليدياً ، وكشفت لهم أسرارها التى استنبطها حكماء صهيون من تجارب التاريخ وعبره خلال قرون طويلة ، وهم يتناقلونها فى الخفاء ، وعليها يربون ملوكهم ومن يحيطون بهم من المستشارين .

٨ — ترى أنه ينبغى أن يساس الناس كما تساس قطعان البهائم بل الوحوش أى بالعنف ، وأن كل الأمميين حتى الزعماء الممتازين فيهم إنما هم قطع شطرنج فى أيدى اليهود ، ومن اليسير إغراؤهم وتسخيرهم بالإرهاب أو الرشوة ... ، وان قيام حكومتهم العالمية يجب أن يسبقه تمزيق الأوطان والقوميات ، وهدم الأديان ولا سيما المسيحية ، وإفساد أنظمة الحكم فى كل الأقطار وإزالة الحكومات ولا سيما الملكية ، وأن يتوسل لذلك بشتى الوسائل المناسبة : ومنها إغراء الملوك وسائر الحكام باضطهاد الشعوب ، وإغراء الشعوب بالتمرد على سلطة الحكام والقوانين والعرف والتقاليد ، وذلك بنشر مبادىء الحرية والمساواة ونحوها مع تفسيرها تفسيراً خاصاً يؤذى الجانبين ، وبمحاولة إبقاء كل من قوة الحكومة وقوة الشعب فى حالة عداء مستمر للأخرى ، وتوجس وخوف دائم منها . ومن هذه الوسائل إفساد حكام الشعوب وزعمائها ، والتسلط عليهم ، ومحاربة كل نبوغ يظهر بين الأمميين مع الاستعانة فى ذلك كله بالمال والنساء والدسائس والمناصب ونحوها ، بل القتل فى الخفاء إذا لم تنجح وسيلة غيره .

٩ — ترى أنه ينبغى لها إثارة حروب عالمية وأهلية بإلقاء بذور

الخلاف والبغضاء بين الأمم عن طريق الجماعات والأندية السرية والعلنية من كل لون ، ومنها السياسية والدينية والفنية والثقافية والرياضية . . . والمحافل الماسونية وغيرها ونقل الدول من حالة التسامح إلى التطرف الديني والسياسي فالاشتراكية فالإباحية فالفوضوية ، مع استحالة تطبيق مبادئ الحرية والمساواة ، وكل هذا مع المحافظة على وحدة الأمة اليهودية ، وحمايتها من كل التعاليم والاتجاهات الضارة . ويلاحظ فى الحروب أن تكون ضارة بالغالب والمغلوب ، وألا تعقب تغييرات إقليمية حتى يستمر النزاع الاقتصادى بين المعسكرات المتناحرة ، ولا يستفيد من ذلك إلا اليهود الذين يتاجرون مع المعسكرات جميعاً ، ويساعدونها على الاستمرار فى الحروب حتى تخر لاهثة منزوفة القوة .

١٠ — ينبغي لليهود — لأنهم المحتكرون للذهب — أن يسيطروا على كل وسائل الطبع والنشر والصحافة والمعاهد الثقافية والمسارح وشركات السينما ودورها ، وعلى العلوم والقوانين والمضاربات وغيرها فى كل أقطار العالم ، وإن الذهب الذى يحتكرونه هو أمضى الأسلحة لإثارة الرأى العام والإضرابات والإنقلابات وإفساد الشبان ، والقضاء على الأخلاق وفضح مساوئ الأديان والقوميات ونظام الأسرة وسائر القيم الإنسانية ، وإغراء الناس بالشهوات وإشاعة الخلاعة والانحلال حتى تستنزف قوى الأمميين فلا يجدوا مفراً من أن يركعوا تحت أقدام اليهود ، ويجب أن يكون لهم وكلاء وأنصار بين كل الهيئات والطبقات من أكبر الملوك والزعماء والبرلمانيين فى قمة القيادة إلى أحط المربيات والخدم فى البيوت والأندية للتجسس

على الأسرار ومعاونة اليهود على تنفيذ ما يريدون ، ويختار الوكلاء من ذوى المخازى التى لا يعرفها إلا اليهود ، فيظلون خاضعين لسلطان الخوف من التشهير .

١١ — ترى أنه ينبغى وضع أسس الاقتصاد العالمى على أساس الذهب الذى يحتكره اليهود ، لا على اساس قوة العمل والثروات الأخرى ، مع إحداث الأزمات العالمية على الدوام ، عن طريق استطلاع أسرار الحكومات والهيئات المالية والمضاربات فى المصافق حتى يحيط الخراب بالجماعات والأمم ، فتضطر إلى الاستعانة باليهود لإنقاذها من عثراتها ، وترضى بسلطانهم العالمى صاغرة مغتبطة

١٢ — نشر الإشاعات المتناقضة ، وترويج المذاهب والنظريات المبهرجة المتضاربة عن طريق الصحافة والكتيبات واستغلال الأسماء الضخمة ، فى كل مجالات النشاط الإنسانى ولاسيما المجالات الفكرية ، حتى تتسلط الفوضى على العقول ، وتختلط عليها الأفكار ، فلا تميز خطأ من صواب ، وتغرق فى بحران من البلبلة والاضطرابات ، وتعمى عليها الاتجاهات فتصاب بالمسخ والعقم ، فإما أن تشل إرادتها فتموت ، وإما أن تطلب الخلاص من محنتها ، ولن تجده إلا فى الخضوع المطلق للاستبداد اليهودى العالمى ، وإذا شعرت أمة بالدوار فعلى اليهود خنقها قبل أن تستعيد أنفاسها ، ثم استعبادها إلى الأبد بأعنف الوسائل .

١٣— اليهود شعب الله المختار مشتتون فى كل أقطار العالم ، وهذا التشتيت ضعف فى ظاهره ، ولكنه فى الحق مصدر قوتهم العظمى ، وهو

الذى وصل بهم إلى أعتاب السلطة العالمية ، فمن خلال تشتتهم تمكنوا من أن يتسللوا إلى كل جهاز فى كيان الأمم ، ويمتصوا دماءها ، ويتعاونوا متفرقين على تسخيرها واستنزاف قواها ، ولن تتمكن أمة من التخلص منهم مهما قاست من شرورهم إلا بالقضاء على كيانها كله فى الوقت نفسه ، وهذا ما يجعل الأمم حريصة على رضاهم طوعاً وكرهاً .

١٤ - ينبغى لليهود توطيد سلطانهم فى أوربا أولا ، فإذا تمردت عليهم فلهم أن يؤدبوها بأمريكا أو الصين واليابان . ولهذا يجب أن يكون نفوذهم فى هذه البلاد قوياً مرهوباً .

هذه بعض مضامين البروتوكولات ولا أدعى أنها خلاصة لها ، وإذا كان هناك موجب للاعتذار عمن اختارنى لهذا التلخيص فبعض معاذيره أنى كنت المترجم الوحيد للبروتوكولات كاملة إلى العربية ، وأعترف بأنى هممت أن أعتذر عن التعقيب بتلخيصها مع معرفتى بفضله وتقديرى إياه قدره ، ولكنى لم أفعل ، ولعله خير ، ومما جعلنى أهم بالاعتذار أنى أضيق بكل خلاصة لا تغنى عن أصلها ، والبروتوكولات من هذا الطراز ، وحسبنا هنا الإشارة إلى أننى حين ترجمتها قد اضطررت كى أقربها إلى أذهان قرائها بالعربية إلى أن أضيف إليها مقدمة وهوامش عدة فى معظم الصفحات ، فجاءت الإضافة أطول من النص كله ، وهذا مع الحرص على تجنب الفضول محافظة على تماسكها مسلسلة .

وآفة الخلاصات أنها تغل العقل ، وتمنعه الاستقلال والاجتهاد ، وتحرمه متعة الجهد ومنفعته ، والجهد فى رأيى أساس الاجتهاد لغة وعملا ،

فمن لم يجهد لم يجتهد ، ومن حرم الاجتهاد حرم فرديته وخسر نفسه . وقد أصل هذه العادة فى نفسى كثرة قراءاتى وتنوعها بين المطولات وخلاصاتها بأمهر الأقلام ، حتى صرت لا أكتفى بأمهر الخلاصات لأى تأليف ما اتسع عقلى ومالى ووقتى لاستيعاب الأصل بكل دقائقه ، وقد دلتنى تجاربى على أنى كنت الأربح فى كل حال ، وزاد هذه العادة تأصلا فى أغوار نفسى كثرة تجاربى وتنوعها خلال اشتغالى الطويل بالتعليم ولاسيما تعليم الأدب وأطيافه من جوهر كالنور ، غاية فى الخفاء والظهور فقد تكون الدقائق أعون على الفهم من الجلائل حتى صرت أعتقد أنه لاسبيل بغير الإلمام بالدقائق فى كل ما له اتصال بالنفس الإنسانية — إلى تصور حقيقة أو ظاهرة نفسية ، وفهمها وتذوقها والحكم عليها حكماً صواباً أو قريباً من الصواب ، إلا أن يكون الأمر رمية من غير رام ، وقد يصيب غيرُ الرماة ويخطى الرماة ولكن هذا ليس بحجة على تعلم الرمى بل هو من موجباته . وإنى لأومن إيماناً راسخاً عميقاً بأن أطول المسافات فى المعرفة وقراءة الكتب المحكمة هى أقصر المسافات وهذا نقيض ما يبدو للنظرة العاجلة أو السطحية ، وأرى أن العقاد كان حكيما ملهماً يقرر حقيقة علمية واقعية ، لاشاعراً يفيض خياله بصورة شعرية فحسب — حين قال :

ليست خلاصة كل شىء غنية عنه، وإن كانت خلاصة ماهر

فالشهد — وهو خلاصة الأزهار لا يغنى العيون عن الربيع الزاهر

وبهذا الاعتذار الذى لم أجد مناصاً من الاستطراد إليه فى هذه « الرسالة الأخوية » مصارحاً إياك بما أصارح به نفسى كما تقضى الأخوة — استودعك الله متمنياً لك خير ما يتمنى خلصاء الإخوة من البدء إلى الختام .

محمد خليفة التونسى

الفهرست

صفحة



مجموعة "اخترنا لك"

تصدر شهرية وباللغتين العربية والإنجليزية

ويشترك في تحريرها وإعدادها :

القائمقام ا.ح محمد عبد القادر حاتم "المشرف على اللجنة"

الدكتورة سهير القلماوى

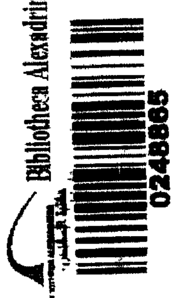
الدكتور حسين مؤنس

الدكتور عبد الحميد يونس

الأستاذ على أدهم

الدكتور محمد يحيى عويس

الأستاذ محمد مصطفى عطا



الطابع والناشر

دار المعارف بمصر